المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

وزارة التربية والتعليم
MINISTRY OF EDUCATION

قررت وزارة التربية والتعليم تدريس
هذا الكتاب وطبعه على نفقتها

مقرر

عِلم التَوْحيْد

للصف الثاني الثانوي

بنات

(أدبي ـ علمي ـ تحفيظ قرآن)

طبعة ١٤٢٨ هـ - ١٤٢٩ هـ
٢٠٠٧م - ٢٠٠٨م

توزيع مجانا وليس للبيع

ⓒ وزارة التربية والتعليم، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعودية – وزارة التربية والتعليم
علم التوحيد : المرحلة الثانوية – الصف الثاني – الرياض.
١١٢ص ، ٢١ × ٢٣ سم
ردمك ٩ – ٤٥٩ – ٠٩ – ٩٩٦٠
١ – التوحيد – كتب دراسية
٢ – السعودية – التعليم الثانوي – كتب دراسية أ – العنوان
ديوي ٠٧١٢ ، ٢٤٠ ١٦/٢٤٣٦

رقم الإيداع : ١٦/٢٤٣٦
ردمك ٩ – ٤٥٩ – ٠٩ – ٩٩٦٠

لهذا الكتاب قيمة مهمة وفائدة كبيرة فحافظي عليه واجعلي نظافته تشهد على حسن سلوكك معه ...

إذا لم تحتفظي بهذا الكتاب في مكتبتك الخاصة في آخر العام للاستفادة فاجعلي مكتبة مدرستك تحتفظ به ...

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لوزارة التربية والتعليم
بالمملكة العربية السعودية

موقع الوزارة
www.moe.gov.sa
موقع الإدارة العامة للمناهج
www.moe.gov.sa /curriculum /index.htm
الإدارة العامة للمناهج وحدة العلوم الشرعية
runit@moe.gov.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾

(سورة النساء آية ١٣٦).

الفصل الدراسي الأول

الفصل الأول : مَـبَاحـــــثٌ في الإيــمَـــــان

مَـعـــنـى الإيــمَـــــان

الإيمان في اللغة : تصديق القلب.

الإيمان في الشرع : تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. وهذا رأي الجمهور وحكى الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم على ذلك.

شرح التعريف :

«تصديق القلب» : قبوله كل ما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ «إقرار اللسان» : النطق بالشهادتين : شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله. «العمل بالأركان» : عمل القلب اعتقادًا، أو عمل الجوارح بالعبادات بحسبها.

والسلف ـ رحمهم الله تعالى ـ جعلوا الأعمال داخلة في مسمى الإيمان. وعلى هذا فهو يزيد، وينقص تبعًا لزيادة الأعمال ونقصها.

أدلة السلف :

استدل السلف بأدلة كثيرة منها :

١ ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ (١).

(١) سورة المدثر : آية (٣١).

٢ ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[١].

٣ ـ ما روى مسلم بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلاَّ الله، وأدناها إماطة[٢] الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[٣].

٤ ـ ما روى مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٤].

وجه الاستدلال من الأدلة السابقة على زيادة الإيمان ونقصانه :

الدليل الأول :

فيه إثبات زيادة إيمان المؤمنين إيمانًا إلى إيمانهم وذلك شهودهم صدق نبيهم ـ ﷺ ـ بمطابقة خبره لما جاء في الكتب السماوية السابقة.

الدليل الثاني :

وفيه إثبات زيادة الإيمان بسماع آيات الله ـ تعالى ـ لدى من وصفهم الله ـ تعالى ـ به، وأولئك هم من إذا ذُكر الله ـ تعالى ـ حصل لهم خوفه المستلزم فعل المأمور والابتعاد عن المحظور. وهم المتوكلون على الله ـ تعالى ـ فلا يرجون سواه ولا يقصدون إلاَّ إياه ولا يطلبون الحوائج إلاَّ منه. الموصوفون بتأدية

---

(١) سورة الأنفال : آية (٢ ، ٤).
(٢) إماطة الأذى : تنحيته وإبعاده.
(٣) صحيح الإمام مسلم : ١/ ٦٣ . وورد في مسند الإمام أحمد عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال : من أعطى لله تعالى ومنع لله تعالى وأحب لله تعالى وأبغض لله تعالى وأنكح لله تعالى فقد استكمل إيمانه.
مسند الإمام أحمد : م ٣ ص ٤٣٨ ، ٤٤٠ .
(٤) صحيح الإمام مسلم : ١/ ٦٩ .

الأعمال المشروعة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فهؤلاء هم المؤمنون حق الإيمان بحصول تلك الأُمور اعتقادًا وعملاً.

الدليل الثالث :

في الحديث أن الإيمان شُعَب متعددة وكل شعبة منها شعبة من الإيمان ومع تفاوتها في الفضل فأعلاها منزلة وفضلاً قول «لا إله إلاَّ الله» وتتوالى بعدها الشُعَب في الفضل من حيث هي في المنزلة والفضل حتى تنتهي إلى أدناها في ذلك وهي شعبة إماطة الأذى عن الطريق وما بينهما كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والأعمال الباطنة كالحياء، والتوكل، والخشية، وغير ذلك كله يسمى إيمانًا.

وهذه الشُعَب منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعًا كالشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعًا كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبحسب القيام بها كثرة وتمثلاً تأتي زيادة الإيمان ونقصانه.

الدليل الرابع :

في حديث الإمام مسلم بيان مراتب تغيير المنكر وكونها من الإيمان حيث نفاه عن من لم تحصل منه أدنى مرتبة من مراتب التغيير مرتبة تغيير المنكر بالقلب. كما في بعض روايات الحديث : «وليس بعد ذلك من الإيمان حبة خردل» وعلى هذا فما سبقها من المراتب أقوى إيمانًا. والله أعلم.

الأســـــئـلـة

س١ : ما معنى الإيمان لغة ؟

س٢ : ما تعريف الجمهور للإيمان اصطلاحاً ؟

س٣ : اذكري بعض أدلة السلف على زيادة الإيمان ونقصه.

س٤ : ما وجه الاستدلال من حديث شُعَب الإيمان على زيادة الإيمان ونقصه ؟

س٥ : اذكري وجه استدلال السلف بحديث «من رأى منكم منكراً.. الحديث» على كونها من الإيمان، وعلى زيادته ونقصه.

يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ (١).

ويقول تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤﴾ (٢).

وذكر الله تبارك وتعالى في الآيات الأولى أولئك الذين ترق قلوبهم وتخاف الله تعالى عند ذكره، ويزداد تصديقهم بسماع آيات الله تبارك وتعالى، ولا يرجون سواه، ولا يقصدون غيره كما لا يطلبون الحوائج إلاَّ منه ويعلمون أنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له. ويحافظون على أداء الفرائض كلها بشروطها وأركانها وسننها، هؤلاء هم المؤمنون حق الإيمان وعدهم الله ـ تعالى ـ بالدرجات العليا عنده كما ينالون مغفرته وثوابه العظيم.

وقد وصف ـ سبحانه وتعالى ـ في الآية الأخيرة أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ من المهاجرين والأنصار بذلك الإيمان الحق لما قام بهم من الإيمان وما قاموا به من الأعمال ثمرة لذلك.

وقد سبقت لنا معرفة دلالة لفظ «الإيمان» في اللغة وفي الاصطلاح.

كما عرفنا أن مذهب أهل السنة والجماعة دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وأنه يزيد وينقص، يزيد بزيادة الأعمال وبزيادة التصديق، وينقص بنقص ذلك، وقد عرفنا كثيراً من الأدلة على ذلك.

وهنا نريد زيادة بيان معنى «الإسلام والإيمان».

---

(١) سورة الأنفال : الآيات (٢ ، ٤).

(٢) سورة الأنفال : آية (٧٤).

الإسلام والإيمان :

في الإسلام والإيمان يجتمع الدين كله.

وقد فرق النبي ـ ﷺ ـ بين مسمى الإسلام وبين مسمى الإيمان وبين مسمى الإحسان في حديث جبريل ـ عليه السلام ـ. فقد روى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال : كان النبي ـ ﷺ ـ بارزًا يومًا للناس فأتاه جبريل فقال : «ما الإيمان ؟، قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام ؟، قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، قال : ما الإحسان ؟، قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال : متى الساعة ؟، قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربها[1]، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم[2] في البنيان في خمس لا يعلمهن إلاَّ الله، ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئًا فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم».

فأما الإسلام :

فقد سمى الرسول ـ ﷺ ـ كثيرًا من الأمور إسلامًا كتسليم القلب وسلامة الناس من اللسان واليد، وإطعام الطعام، وطيب الكلام وجميع هذه الأُمور التي سماها الرسول ـ ﷺ ـ إسلامًا فيها الاستسلام والانقياد الظاهر. فحكم الإسلام يثبت بالشهادتين وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام. وهذه الأمور أظهر شعائر الإسلام وبقيام الإنسان بها يتم استسلامه وتركها يشعر بعدم الاستجابة والانقياد. كما أن تسليم القلب يعني الرضاء والطاعة وسلامة الناس من اللسان واليد تعني الشعور برابطة الأخوة الدينية، وكف الأذى امتثالاً لتعاليم الدين الذي حث على الإحسان، ونهى عن الإيذاء، وأمر بالبذل والمساعدة ورغب في خصال الخير كلها. تمثل الإنسان بتلك الأمور وغيرها من

(١) اختلفت الروايات في اللفظ فروى «ربها» والمعنى أن السراري تلد سيدها وملكها، أو سيدتها ومالكتها.

(٢) جمع بهمة، الصغار من أولاد الغنم، الضأن والمعز جميعًا. وقيل أولاد الضأن خاصة.

الخلال الحميدة يعني الانقياد والطاعة وتلك من أظهر الصور المعبرة عن الإسلام، كما يستحيل ظهورها عملاً وسلوكًا من غير تصديق. تلك الأُمور التي عبر بها عن الإسلام.

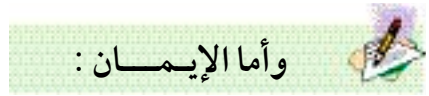

فقد عرفنا جواب الرسول ـ ﷺ ـ في حديث جبريل، كما سمى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أُمورًا أخرى إيمانًا، كحسن الخلق، والسماحة والصبر وحب الرسول ـ ﷺ ـ وحب الأنصار، والحياء. وغير ذلك كثير جدًا. وهذا الإيمان هو التصديق الباطن ولم يأت ما يخصص الإيمان بالأمور الباطنة. بل جاء ما يدل على أن الأعمال الظاهرة تسمى إيمانًا وبعضها مما قد أخبر عنه الرسول ـ ﷺ ـ بأنه الإسلام فقد فسر الإيمان لوفد عبدالقيس بما فسر به الإسلام في حديث جبريل ـ عليه السلام ـ وكما في حديث شُعَب الإيمان وقوله : «أعلاها قول لا إله إلاَّ الله... وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» مع ما بينهما من أعمال ظاهرة وباطنة. ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانًا بالله ـ تعالى ـ بدون إيمان القلب كما قد ورد في كثير من النصوص الشرعية من ضرورة إيمان القلب، فالشعائر الظاهرة مع تصديق القلب هو الإيمان، فاسم الإسلام يتناول تصديق القلب، ويتناول الأعمال، فذلك كله استسلام لله ـ تعالى ـ.

وعلى هذا يقال :

إن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا، فسر الإسلام بالأمور الظاهرة من الأعمال، وفسر الإيمان بالأمور الباطنة من الاعتقاد.

وإذا افترقا، فسر أحدهما بما يفسر به الآخر، بمعنى أن الإسلام يفسر بالاعتقاد والأعمال، كما يفسر بمثل ذلك الإيمان أيضاً.

وهما واجبان فلا ينال رضوان الله ـ تعالى ـ ولا ينجى من عقابه إلاَّ بالانقياد الظاهر مع يقين القلب فلا يصح التفريق بينهما.

ولا يستكمل الإنسان الإيمان والإسلام الواجبين عليه إلاَّ بامتثال الأوامر والابتعاد عن النواهي كما لا يلزم على الكمال بلوغ الغاية لاختلاف الدرجات في زيادة الأعمال من النوافل وزيادة التصديق. والله أعلم.

الأســـــئـلــة

س١ : ما صفات المؤمنين حق الإيمان ؟

س٢ : في أي شيء يجتمع الدين ؟ وما الدليل ؟

س٣ : ما معنى الإِسلام مع ذكر الأدلة ؟

س٤ : ما معنى الإِيمان مع الاستدلال على ما تقولين ؟

س٥ : هل يطلق على الأعمال الظاهرة إيمانًا ؟ وكيف ذلك ؟

س٦ : متى يكون معنى الإسلام والإيمان واحدًا ؟ ومتى يختلف ؟

الأركان : جمع ركن، وركن الشيء جانبه الأقوى.

والمراد بأركان الإيمان : ما يتوقف عليه.

وأركـانه ســتة هـي :

١ ـ الإيمان بالله تعالى.
٢ ـ الإيمان بالملائكة.
٣ ـ الإيمان بالكتب السماوية.
٤ ـ الإيمان بالرسل.
٥ ـ الإيمان باليوم الآخر.
٦ ـ الإيمان بالقدر خيره وشره.

والدليل على هذا جواب الرسول ـ ﷺ ـ حين سأله جبريل ـ عليه السلام ـ عن الإيمان قال : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(١)].

والشُّعَبُ : جمع شُعْبَة، **والشُّعْبَة** : الفرقة والطائفة من الشيء. **وشُعَبُ الإيمان** : خصاله المتعددة وهي كثيرة تزيد على اثنتين وسبعين شُعْبةً، فقد جاء في الحديث أنها بضع وسبعون شُعْبةً.

والبضع في العدد : ما بين الاثنين والعشرة.

ودليل عدد شُعَبِ الإيمان ما روى مسلم بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلاَّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[(٢)].

وقد بيَّن الرسول ـ ﷺ ـ أن أفضل هذه الخصال التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشُعَب إلاَّ بعد صحته، وأدناها إزالة ما يتوقع ضرره بالمسلمين، من إماطة الأذى عن طريقهم. وبين هذين الطرفين أعداد من الشعب. كحب الرسول ـ ﷺ ـ وحب المرء لأخيه كما يحب لنفسه والجهاد وغير

(١) صحيح الإمام مسلم : ١/ ٣٧ وانظري صحيح البخاري : ١/ ١٩ ، ٢٠ .
(٢) صحيح الإمام مسلم : ١/ ٦٣ .

ذلك كثير، ولم يرد التصريح بخصال الإيمان كلها. فاجتهد العلماء في عدها فذكرها الحليمي صاحب المنهاج سبعاً وسبعين، وعدها الحافظ أبو حاتم ابن حبان تسعاً وسبعين.

وشُعَبُ الإيمان المتعددة بعضها دعائم وأصول يزول الإيمان بزوالها مثل إنكار الإيمان باليوم الآخر[1] وبعضها فروع قد لا يزول الإيمان بزوالها، وإن كان يوجب تركها نقصًا في الإيمان أو فسقاً. مثل عدم إكرام الجار[2] وقد يجتمع في الإنسان شعب إيمان، وشعب نفاق، فيستحق بشعب النفاق العذاب ولا يخلد في النار لما في قلبه من الإيمان ومن هذه حاله لا يستحق اسم الإيمان المطلق المعلق به الوعد بالجنة والرحمة في الآخرة والنجاة من العذاب مع تفاوت أصحاب هذا الإيمان المطلق في درجاتهم. والله أعلم.

الأسئلة

س١ : ما الفرق بين أركان الإيمان وشعبه ؟

س٢ : ما أركان الإيمان ؟ وما الدليل ؟

س٣ : ما معنى البضع في العدد ؟

س٤ : هل أركان الإيمان وشعبه على حد سواء في الاعتقاد والعمل ؟

س٥ : هل يجتمع في شخص إيمان ونفاق ؟ وما حكم من كان كذلك ؟

س٦ : من المؤمن المطلق ؟

---

(١) قال الله تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (التغابن آية ٧) .

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» رواه البخاري ومسلم.
انظري جامع العلوم والحكم صفحة ١٢٣ .

نَـــواقـــضُ الإيـــمَـــان

نواقض الإيمان : هو ما يذهبه بعد الدخول فيه :

ومن نواقض الإيمان ما يلي :

١ ـ إنكار الربوبية أو شيء من خصائصها، أو إدعاء شيء منها أو تصديق المدعي لذلك. يقول الله تعالى : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

٢ ـ الاستنكاف، والاستكبار عن عبادة الله تعالى قال الله تعالى : ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾[2].

٣ ـ اتخاذ الوسائط والشفعاء يدعوهم من دون الله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾[3].

---

(١) سورة الجاثية : آية (٢٤).

(٢) سورة النساء : الآيتان (١٧٢ ، ١٧٣).

(٣) سورة يونس : آية (١٨).

ويقول الله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَٰبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾[1].

٤ ـ جحد شيء مما أثبته الله ـ تعالى ـ لنفسه أو أثبته له رسوله ـ ﷺ ـ، وكذلك من يجعل لمخلوق شيئًا من الصفات الخاصة بالله كعلم الله وأيضا إثبات شيء نفاه الله ـ تعالى ـ عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ـ ﷺ ـ. يقول الله ـ تعالى ـ مخاطبًا رسوله ـ ﷺ ـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[2].

ويقول اللّه ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[3].

ويقول الله ـ تعالى ـ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[4].

٥ ـ تكذيب الرسول ـ ﷺ ـ في شيء مما جاء به يقول تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾[5].

٦ ـ اعتقاد عدم كمال هدي الرسول ـ ﷺ ـ أو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي عليه، أو اعتقاد أن حكم غيره أحسن منه أو أتم أو أشمل لحاجة البشر، أو اعتقاد مساواة حكم غير الله ـ تعالى ـ

---

(١) سورة الرعد: آية (١٤).
(٢) سورة الإخلاص: الآيات (١، ٤).
(٣) سورة الأعراف: آية (١٨٠).
(٤) سورة مريم: آية (٦٥).
(٥) سورة فاطر: الآيتان (٢٥ ـ ٢٦).

لحكم الله ورسوله. أو اعتقاد جواز الحكم بغير ما أنزل الله ـ تعالى ـ يقول الله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾[1].

ويقول الله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[2].

ويقول الله تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[3].

٧ ـ عدم تكفير المشركين، أو الشك في كفرهم، لأن هذا شك، فيما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾[4].

٨ ـ الاستهزاء بالله تعالى، أو بالقرآن الكريم، أو بالدين، أو بالثواب والعقاب أو نحو ذلك. أو الاستهزاء بالرسول ـ ﷺ ـ أو بأحد من الأنبياء. سواء أكان ذلك مزاحًا أم جدًا، يقول تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[5].

٩ ـ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين يقول الله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[6].

---

(١) سورة النساء : آية (٦٠).
(٢) سورة النساء : آية (٦٥).
(٣) سورة المائدة : آية (٤٤).
(٤) سورة إبراهيم : آية (٩).
(٥) سورة التوبة : الآيتان (٦٥ ، ٦٦).
(٦) سورة المائدة : آية (٥١).

١٠ ـ اعتقاد أنه يسع أحداً الخروج عن هدي محمد ـ ﷺ ـ ولا يجب عليه اتباعه. يقول تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

١١ ـ الإعراض عن دين الله ـ تعالى ـ لا يتعلمه ولا يعمل به يقول الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[2].

هذه من أبرز النواقض وهناك نواقض كثيرة ترجع في جملتها إلى بعض ما ذكر من ذلك السحر، وجحود القرآن أو شيء منه، أو الشك في إعجازه، أو امتهان المصحف أو جزء منه، أو تحليل شيء مجمع على تحريمه كالزنا وشرب الخمر. أو الطعن في الدين أو سبه. نعوذ بالله من الضلال. والله أعلم.

الأسئلة

س١ : ما القاعدة العامة فيما ينقض الإيمان ؟

س٢ : ما الدليل على أن إنكار الربوبية ناقض للإيمان ؟

س٣ : ما الفرق بين إنكار الربوبية، وإنكار استحقاقه ـ تعالى ـ للعبادة ؟

س٤ : ما حكم اتخاذ الوسائط والشفعاء في عبادة الله تعالى ؟

س٥ : لِمَاذا كان تأويل أسماء الله وصفاته في حكم التعطيل ؟

س٦ : هل يصح التحاكم إلى غير شرع الله ؟ وما الدليل ؟

س٧ : هل يجوز الاستهزاء بالله أو بالقرآن أو بالرسول ـ ﷺ ـ مزاحًا، مع الاستدلال على ما تقولين ؟

س٨ : هل يسع أحد الخروج من هدي محمد ـ ﷺ ـ، وهل تسقط التكاليف عن أحد، مع الاستدلال على ما تقولين ؟

---

(١) سورة المائدة : آية (٣).

(٢) سورة السجدة : آية (٢٢).

حُكم مُرتكب الكبيرة

تنقسم الذنوب إلى كبائر وصغائر :

فالكبيرة :

هي كل ذنب ترتب عليه حد في الدنيا أو أوعد الله عليه بنار أو لعن أو غضب. وقيل إن الكبيرة : هي كل معصية يقدم المرء عليها متهاونًا بارتكابها ومتجرئًا عليها. ومثال الكبيرة ما ذكر في حديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال : «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا : وما هن ؟ قال : الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(١).

والصغيرة :

هي كل ذنب ليس فيه حد في الدنيا ولا وعيد خاص في الآخرة. وقيل إن الصغيرة : هي كل معصية تحصل غفلة ولا ينفك صاحبها عن ندم ينقص تلذذه بالمعصية. ومثال الصغيرة، ما روى أبو هريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال : «كُتِبَ على ابن آدم نصيبه من الزنى. مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأُذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه»(٢). ويدل على تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر قول الله تعالى : ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾(٣).

وقول الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾(٤).

---

(١) متفق عليه.
(٢) صحيح مسلم ح (٢٦٥٧).
(٣) النساء : آية (٣١).
(٤) سورة النجم : آية (٣٢).

روي عن عمر وابن عباس وغيرهما ـ رضي الله عنهم ـ : (لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار).

ومذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة هو :

أن مرتكب الكبيرة لا يكفر بها إذا كان من أهل التوحيد والإخلاص، بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته تحت مشيئة الله ـ تعالى ـ إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه بالنار على ما كان من العمل ثم يخرجه منها فلا يخلده فيها، خلافًا لغلاة الفرق الضالة في ذلك وهم :

(١) **المرجئة** : وهم القائلون : بأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

(٢) **المعتزلة** : وهم الذين يقولون بأن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين، وإذا خرج من الدنيا من غير توبة فهو من المخلدين في النار.

(٣) **الخوارج** : وهم القائلون بأن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار.

أدلة أهل السنة :

استدل أهل السنة بأدلة كثيرة جدًا من الكتاب الكريم ومن السنة المطهرة منها :

١ ـ قول الله تعالى : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ (١).

وجه الاستدلال : أثبت الله تعالى الإيمان لمرتكبي معصية الاقتتال من المؤمنين. والباغي من بعض الطوائف على بعض، وجعلهم أخوة. وأمر ـ تعالى ـ المؤمنين بالإصلاح بين إخوتهم في الإيمان.

---

(١) سورة الحجرات الآيتان : (٩ ، ١٠).

٢ ـ روى مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «يدخل الله أهل الجنةِ الجنةَ، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النَّارِ النَّارَ. ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه. فيخرجون منها حممًا قد امتحشوا[١] فيلقون في نهر الحياة، أو الحيا[٢] فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السبل. ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية»[٣].

وجه الاستدلال في الحديث : عدم تخليد أصحاب الذنوب في النار حيث يخرج منها من في قلبه أدنى الإيمان، ولا يكون الإيمان بهذا القدر إلاَّ بالمعاصي فعلاً للمنهيات أو تركًا للواجبات.

الأســـــئـلــة

س١ : عرِّفي الكبيرة، والصغيرة.

س٢ : ما مذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة ؟

س٣ : هل المؤمن أخ لمرتكب الكبيرة مع الاستدلال ؟

س٤ : ما وجه الاستدلال على مذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة من قوله ـ ﷺ ـ : «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» ؟

س٥ : ما الأضرار المترتبة على انتشار الذنوب في المجتمع ؟

---

(١) امتحشوا بمعنى احترقوا.

(٢) المراد بالحيا : المطر، سمي بذلك لأنها تحيا به الأرض.

(٣) صحيح الإمام مسلم : ١/ ١٧٢، انظري صحيح البخاري : ٤/ ١٥٨ .

المعصية :

هي خلاف الطاعة سواء كان تركًا لأمر أو ارتكابًا لنهي. والإيمان كما سبق معرفة ذلك؛ بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلاَّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. فليست شعبه على حد سواء عظمًا وقدرًا، وفعلاً وتركًا، وعلى هذا تختلف المعصية التي هي الخروج عن الطاعة فإذا كانت جحودًا وتكذيبًا فهي ناقضة للإيمان كما أخبر الله ـ تعالى ـ عن فرعون بقوله : ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾[1].

وقد تكون فيما دون ذلك فلا يحصل بها خروج من الإيمان ولكنها تقدح في كماله بالنقص والتشويه فمن أتى الكبائر كالزنا والسرقة وشرب الخمر ونحو ذلك غير معتقد حِلّها ذهب ما في قلبه من الخشية والخشوع والنور، وإن بقي أصل التصديق في قلبه فإن أناب إلى الله ـ تعالى ـ، وعمل الصالحات رجع إلى قلبه نوره وخشيته، وإن تمادى في المعاصي زاد الرين[2] على قلبه إلى أن يختم عليه والعياذ بالله فيصبح لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا روى الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الرين الذي ذكر الله ـ عز وجل ـ في القرآن : ﴿كَلَّا بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[3]»[4].

وهناك مثال يعطي تصويرًا لأثر المعصية على الإيمان هو : أن الإيمان كدوحة كبيرة، فجذورها التصديق وبه حياتها. وفروعها الأعمال وبها بقاؤها وحياتها أيضا.

فكلما زادت الفروع ازدانت وكملت، وإذا نقصت تشوهت فلو استمر نقصها إلى أن لم يبق فيها فرع ولا ساق، ذهب مسماها. فإن لم تخرج جذورها سيقانًا وفروعًا وتورق يبست الجذور وتفتتت في التربة. وكذلك المعاصي بالنسبة لدوحة الإيمان تحدث نقصًا منه وخدشًا في كماله وجماله بحسبها قلة وكثرة وصغرًا وكبرًا. والله أعلم.

---

(١) سورة النازعات آية (٢١).
(٢) الرين : الطبع والدّنس.
(٣) سورة المطففين آية (١٤).
(٤) مسند الإمام أحمد : ٢/ ٢٩٧ .

مفهومه وأثره في عقيدة المسلم :

أولاً : «الإيمان بالغيب» :

الغيب مصدر يستعمل في كل غائب عن الحاسة، علم أو لم يعلم. والإيمان بالغيب، أي بما لا يقع تحت الحواس، ولا يدرك ببداهة العقول، إنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والإيمان بالغيب من صفات المؤمن كما قال تعالى : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[1].

وقيل في معنى إيمانهم رأيان :

أ ـ أنهم يؤمنون بما كان غائبًا عن الحاسة، مما جاء الخبر به عن الله تعالى وعن رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

ب ـ أنهم يؤمنون بالله ـ تعالى ـ حال الغيب كما يؤمنون به حال الحضور بخلاف المنافقين. ولا منافاة بين المعنيين فلابد من الأمرين في المؤمن.

ثانيًا : «أثر الإيمان بالغيب في عقيدة المسلم» :

للإيمان بالغيب آثار كبيرة جدًا تنعكس على سلوك الإنسان، وسيرته في الحياة فهي دافع قوي لأعمال الخير ومكافحة الشر منها : ـ

أ ـ الإخلاص في العمل رغبة في الثواب، وخوفًا من العقاب في الآخرة، لا طمعًا في الجزاء والشكر

---

(١) سورة البقرة الآيتان (١ ، ٣).

الدنيوي من الناس كما أخبر الله ـ تعالى ـ عن عباده المطعمين الطعام مع حبهم له بقوله عنهم : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[1].

ب ـ القوة في الحق ـ ما وعد به أهل الإيمان يجعل المرء يسير في امتثال أوامر الله ـ تعالى ـ، وبيان الحق والدعوة إليه وبيان الباطل والتحذير منه ومحاربته، وإن عَدِم المُعِين فهو قوي بالله ـ تعالى ـ تهون عليه الحياة الدنيا وعذابها بجانب الحياة الآخرة. وقد أخبر الله ـ تعالى ـ عن خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ قوله لقومه: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[2].

وكما أخبر عن سحرة فرعون لما آمنوا كيف استهانوا بتعذيب فرعون لهم وقالوا فيما أخبر الله ـ تعالى ـ عنهم : ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[3].

جـ ـ احتقار المظاهر الدنيوية وهذا يكون نتيجة عمران القلب بالإيمان بزوال الدنيا وملذاتها، وأن الحياة الآخرة هي حياة البقاء والسعادة وليس من العقل إيثار الفاني على الباقي، يقول الله تعالى : ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٦٤﴾[4].

وأخبر ـ سبحانه وتعالى ـ عن امرأة فرعون التي استهانت بما هي فيه من متاع الحياة الدنيا، وطلبت النجاة من فرعون وعمله ابتغاء الدار الآخرة لما استنار قلبها بنور الإيمان بالله ـ تعالى ـ والدار الآخرة

---

(١) سورة الإنسان الآيتان (٨ ، ٩).
(٢) سورة الأنبياء : الآيتان (٥٧ ، ٥٨).
(٣) سورة الأعراف : الآيتان (١٢٥ ، ١٢٦).
(٤) سورة العنكبوت : آية (٦٤).

بقوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾[1].

د ـ ذهاب الغل والأحقاد ـ إن السعي لتحقيق رغبات النفوس بغير طرقها الصحيحة يورث الغل والأحقاد بين الناس، والإيمان بالغيب من وعد الله ـ تعالى ـ ووعيده يجعل المرء محاسبًا لنفسه في جميع تصرفاته طمعًا في الثواب وخوفًا من العقاب، والإيمان الصادق بتحقق الثواب يجعل النفس المؤمنة مندفعة إلى الإحسان والإيثار طمعًا في الثواب الباقي، الأمر الذي تصفو معه النفوس وتسود المحبة بين الأفراد والجماعات كما أخبر الله ـ تعالى ـ عن الذين امتثلوا ذلك بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[2].

تلك بعض آثار الإيمان بالغيب، ولا تتخلف إلاَّ بضعف الإيمان، وإذا اختلفت أصبح المجتمع حيوانيًا يأكل حيُّهُ ميِّتَه، ويقهر قويّه ضعيفَه، فيعم الخوف وينتشر البلاء وتتخلف الفضيلة وتسود الرذيلة، أعاذنا الله من ذلك.

---

(١) سورة التحريم: آية (١١).

(٢) سورة الحشر: الآيتان (٩، ١٠).

الأســـــئـلــة

س١ : ما المعصية، ومتى تكون مخرجة من الدين ؟

س٢ : ما أثر المعصية على الإيمان ؟

س٣ : إذا شبهنا الإيمان بشجرة فما صورة التشبيه ؟

س٤ : ما معنى الإيمان بالغيب، وما تفسير قول الله ـ تعالى ـ ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ ؟

س٥ : كيف يكون الإخلاص في العمل من آثار الإيمان بالغيب...؟

س٦ : لِمَاذَا لا يكون المؤمن جبانًا ؟

س٧ : لِمَاذَا رغبت امرأة فرعون عن ما بين يديها من متع الحياة وطلبت النجاة من فرعون وعمله ؟

س٨ : كيف يكون الإيمان بالغيب سببًا لانتشار المحبة في المجتمع ؟

الفصل الثاني : أركـــان الإيـمـــان

أولاً : الإيـمـــان باللَّه تـعـــالى

هو الاعتقاد الجازم بأن الله ـ تعالى ـ واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وهو رب كل شيء ومليكه ليس له شريك في الملك هو الخالق، الرازق، المعطي، المانع، المحيي المميت المتصرف في جميع شؤون الخلق.

وهو المستحق للعبادة وحده دون سواه بجميع أنواعها من الخضوع، والخشوع، والخشية، والإنابة، والقصد، والطلب، والدعاء، والذبح، والنذر ونحو ذلك.

ومن الإيمان بالله، الإيمان بما أخبر به عن نفسه في كتابه الكريم، أو أخبر به عنه رسوله ـ ﷺ ـ، من الأسماء والصفات، وأنه متفرد بهذا عن جميع المخلوقات وأن له الكمال المطلق في ذلك كله، إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل. كما أخبر عن نفسه ـ تبارك وتعالى ـ بقوله : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[1].

هذا والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على معنى الإيمان وطلبه يطول حصرها. وبالله التوفيق.

الأســـــئـلـة

س١ : هل الاعتراف بالربوبية داخل في الإيمان ؟ ولِمَاذَا ؟

س٢ : هل ينافي الإيمان إخراج شؤون الحياة عن حكم الله ـ تعالى ـ ؟ مع الاستدلال على ما تقولين.

س٣ : ما معنى العبادة ؟

س٤ : هل طلب النفع من أحد سوى الله ـ تعالى ـ يخالف الإيمان بالله ـ تعالى ـ ؟ ولِمَاذَا ؟

س٥ : ما معنى الإيمان بأسماء الله وصفاته ؟

س٦ : هل اعتقاد مساواة أحد لله ـ تعالى ـ في شيء من أسمائه أو صفاته مخل بالإيمان ؟ مع التعليل .

(١) سورة الأنعام : الآيتان (١٠١ ، ١٠٢).

ثانياً : الإيـــمَـــان بالمـــــلائـــكـــة

١- تعـــريـفـــهم

لغة : الملائكة جمع ملَكْ. بفتح اللام، قيل إنه مشتق من الألوكة وهي الرسالة، وقيل من لأك إذا أرسل. وقيل غير ذلك.

واصطلاحًا : هم نوع من مخلوقات الله ـ عز وجل ـ خلقهم مجبولين على طاعته وعبادته، قائمون بوظائفهم كما بين ذلك ـ سبحانه وتعالى ـ بقوله : ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[1]

وقوله عنهم : ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[2].

٢- اعتقاد الناس فيهم قبل الإسلام

لم يكن وجود الملائكة محل نزاع بين القدماء من الناس، كما لم يعرف عن أحد من أهل الجاهلية إنكارهم مع الاختلاف في طرق إثباتهم ونوعه بين أتباع الأنبياء وغيرهم.

وكان المشركون يزعمون أنهم بنات الله ـ تبارك وتقدس ـ وقد رد الله تعالى عليهم هذا وبين عدم علمهم بذلك بقوله : ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾[3].

---

(١) سورة الأنبياء الآيتان (١٩ ، ٢٠).

(٢) سورة الأنبياء الآيتان (٢٦ ، ٢٧).

(٣) سورة الزخرف آية (١٩).

وبقوله: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ۝١٥٠ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝١٥١ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝١٥٢﴾[1].

٣- الإيمان بهم

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان، ومعنى ذلك: التصديق الجازم بأن لله ـ تعالى ـ ملائكة موجودين مخلوقين من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

أدلة وجوب الإيمان بهم:

أ ـ قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[2] فجعل ـ تبارك وتعالى ـ هذا الإيمان من عقيدة المؤمن.

ب ـ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[3].

وأوجب ـ سبحانه وتعالى ـ الإيمان بهذه الأُمور، وكفر من جحدها بقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝١٣٦﴾[4].

جـ ـ قول الرسول ـ ﷺ ـ جواباً لجبريل حينما سأله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[5] فجعل صلوات الله وسلامه عليه الإيمان: هو الإيمان بجملة ما ذكر. والإيمان بالملائكة بعض ذلك. فوجودهم ثابت بالدليل القطعي، وإنكارهم كفر بإجماع المسلمين لأن عدم الإيمان بهم مخالفة لصريح القرآن والسنة.

---

(١) سورة الصافات: الآيات (١٥٠، ١٥١، ١٥٢).
(٢) سورة البقرة آية (٢٨٥).
(٣) سورة البقرة آية (١٧٧).
(٤) سورة النساء آية (١٣٦).
(٥) صحيح الإمام مسلم ١/ ٣٧. انظري صحيح البخاري ١/ ١٩، ٢٠.

٤- أنواع الملائكة وأعمالهم

الملائكة عباد مكرمون وسفرة مؤتمنون خلقهم الله ـ تعالى ـ لعبادته وليسوا بناتًا لله ولا أولادًا ولا شركاء معه، ولا أندادًا، لا يعلم عددهم إلاَّ الله ـ تعالى ـ يحملون رسالات ربهم، ويؤدون أعمالهم في العالم، لكل نوع منهم عمل، ومنهم :

أ ـ الموكل بالوحي من الله ـ تعالى ـ إلى رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهو الروح الأمين ـ جبريل عليه السلام قال تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[١] وقد وصف الله ـ تعالى ـ رسوله جبريل ـ عليه السلام ـ في معرض تبليغه القرآن بصفات هي غاية في الثناء، إذ يقول : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾[٢].

ب ـ ومنهم الموكل بالقطر وتصاريفه ـ على مراد الله ـ تعالى ـ يدل على هذا ما روى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال : «بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة : أسقِ حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة[٣] من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله... الحديث»[٤]. وهذا يعني تصريف المطر من قبل الملائكة على مراد الله ـ تعالى ـ.

جـ ـ الموكل بالصُّور[٥]، وهو إسرافيل ـ عليه السلام ـ وهو الذي ينفخ فيه بأمر الله ـ تعالى ـ ثلاثة نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق. ونفخة البعث. ذكر هذا ابن جرير وغيره

---

(١) سورة الشعراء الآيتان (١٩٣ ، ١٩٤).

(٢) سورة التكوير الآيات (١٩ ، ٢١).

(٣) الشرجة مسيل الماء في الحرة.

(٤) صحيح الإمام مسلم ٤/ ٢٢٨٨ .

(٥) الصور، كما فسره الرسول ـ ﷺ ـ : «قرن ينفخ فيه».

من المفسرين عند تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾[1]. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾[2] وغيرهما مما ورد فيه ذكر النفخ في الصور.

د ـ ومنهم الموكل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت وأعوانه قال ـ تعالى ـ عن تولي الملائكة ذلك الأمر: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾[4].

هـ ـ خزنة الجنة ـ أخبر تعالى عنهم في ذكر حال المُتَّقِين بقوله : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[5].

و ـ خزنة جهنم ـ وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر ومقدمهم مالك ـ عليه السلام ـ يدل على ذلك قول الله ـ تعالى ـ في وصف سقر : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾[6]. وقال تعالى حكاية عن أهل النار : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾[7].

ز ـ الموكلون بحفظ العبد في جميع أحواله وهم : «المعقبات» كما أخبر الله ـ تعالى ـ عن ذلك بقوله : ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[8].

---

(١) سورة الأنعام آية (٧٣).
(٢) سورة الكهف آية (٩٩).
(٣) سورة السجدة آية (١١).
(٤) سورة الأنعام آية (٦١).
(٥) سورة الزمر : آية (٧٣).
(٦) سورة المدثر : الآيات (٢٧ ، ٣١).
(٧) سورة الزخرف : آية (٧٧).
(٨) سورة الرعد : الآيتان (١٠ ، ١١).

وقال ـ تعالى ـ : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[1].

حـ ـ الموكلون بحفظ عمل العبد من خير وشر وهم الكرام الكاتبون وهم داخلون في مسمى الحفظة، كما أخبر الله ـ تعالى ـ عنهم بقوله : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾[2].

وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[3].

وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[4] والآيات والأحاديث في ذكر الكرام الكاتبين كثيرة جدًا.

٥- علاقتُهم بالبشَرِ

وكل الله ـ سبحانه وتعالى ـ الملائكة بأصناف المخلوقات ومنها الإنسان، فلهم علاقة وثيقة به من حين كونه نطفة، ذكر هذه العلاقة الإمام ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان» فقال : «فإنهم موكلون بتخليقه (أي الإنسان) ونقله من طور إلى طور، وتصويره، وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه وعمله، وأجله وشقاوته وسعادته، وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره، وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب، وهم المثبِّتون للعبد المؤمن بإذن الله، والمعلِّمون له ما ينفعه والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة وهم الذين يعدونه بالخير، ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر ويحذرون منه، فهم أولياؤه وأنصاره، وحفظته ومعلموه، وناصحوه،

(١) سورة الأنعام : آية (٦١).
(٢) سورة الزخرف : آية (٨٠).
(٣) سورة ق : الآيتان (١٧ ، ١٨).
(٤) سورة الانفطار : الآيات (١٠ ـ ١٢).

والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يُصَلُّون عليه ما دام في طاعة ربه، ويُصَلُّون عليه ما دام يُعَلِّم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله ـ تعالى ـ في منامه، وعند موته، ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه في الدنيا، ويرغبونه في الآخرة، وهم الذي يُذَكِّرونه إذا نسي، ويُنَشِّطونه إذا كسل، ويُثَبِّتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، تتنزَّل بالأمر من عنده في إقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر»[1] وأدلة كل ما ذكر من القرآن والسنة يطول المقام بذكرها وهي معروفة مشتهرة.

الأســـــئـلـة

س١ : ما معنى الملائكة لغة، واصطلاحاً ؟

س٢ : ما اعتقاد المشركين في الملائكة وما حكم هذا الاعتقاد ؟

س٣ : ما حكم الإيمان بالملائكة مع الاستدلال على ما تقولين ؟

س٤ : من الموكل بالوحي من الملائكة مع الاستدلال على ما تقولين ؟

س٥ : ما الصُّور، ومن الموكل به، وماذا يعني النفخ فيه ؟

س٦ : من الحفظة وما معنى حفظهم للإنسان ؟

س٧ : ما علاقة الملائكة بالبشر ؟

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم : ٢/ ١٢٥ ، ١٢٦ .

ثالثاً : الإيـــمَـــــانُ بالكـــــتب

١ ــ الـتعـــــريـــف

الكتب، لغة : جمع كتاب، والكتاب مصدر سمي به المكتوب فيه، وهو في الأصل اسم للصحيفة مع المكتـوب فيها.

وشرعًا : كلام الله ـ تعالى ـ الموحى إلى رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ليبلغوه للناس، المتـعبَّد بتلاوته.

٢ ــ الإيـمَـــــان بـــهَـــا

الإيمان بكتب الله ـ تعالى ـ ركن من أركان الإيمان. أي التصديق الجازم بأن لله ـ تعالى ـ كتبًا أنزلها على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدي المستبين. وأنها كلام الله ـ عز وجل ـ تكلم بها حقيقة كما شاء على الوجه الذي أراد، قال تعالى : ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾[1]. والإيمان بها واجب إجمالاً فيما أجمل وتفصيلًا فيها فصل.

«الأدلة على وجـــوب الإيـــمـــان بالكـــــتب»

أولاً : أدلة الإيمان بهَا جملة :

أ ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[2].

---

(١) سورة النحل : آية (٢).

(٢) سورة البقرة : آية (١٣٦).

وجه الاستدلال من الآية : أن الله ـ تعالى ـ أمر المؤمنين أن يؤمنوا به وبما أنزل عليهم بواسطة نبيهم محمد ـ ﷺ ـ وهو القرآن الكريم ويؤمنوا بما أنزل على النبيين من ربهم من غير تفريق بين أحد منهم انقيادًا لله ـ تعالى ـ وتصديقًا لخبره.

ب ـ قول الله ـ تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[1].

اشتملت الآية الكريمة على بيان صفة إيمان الرسول ـ ﷺ ـ والمؤمنين وبيان ما أمروا به من الإيمان بالله ـ تعالى ـ وبالملائكة وبالكتب وبالرسل من غير تفريق. فالكفر بالبعض كفر بهم جميعًا.

جـ ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[2].

وجه الاستدلال من الآية : أن الله ـ تعالى ـ أمر بالإيمان به وبرسوله وبالكتاب المنزل على الرسول ـ ﷺ ـ القرآن، وبالكتب المنزلة من قبل القرآن. وقرن ـ سبحانه وتعالى ـ الكفر بالملائكة وبالكتب وبالرسل وباليوم الآخر بالكفر به تعالى.

د ـ قول الرسول ـ ﷺ ـ في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[3].

فجعل الرسول ـ ﷺ ـ الإيمان بكتب الله ـ تعالى ـ أحد أركان الإيمان.

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٨٥).
(٢) سورة النساء : آية (١٣٦).
(٣) صحيح مسلم : ١/ ٣٧ ، انظري صحيح البخاري : ١/ ١٩ ، ٢٠ .

ثانيًا : وجوب الإيمان بالكتب تفصيلًا :

يجب الإيمان على وجه التفصيل بما سمى الله ـ تعالى ـ لنا من كتبه القرآن الكريم وما سبقه مما جاء النص بذكره وهي :

أ ـــ صحف إبراهيم وموسى ـ عليهما السلام ـ كما قال تعالى : ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾[1] ، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾[2].

ب ـــ التوراة وهي كتاب الله ـ تعالى ـ الذي أنزل على موسى ـ عليه السلام ـ قال ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[3] وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾[4].

جـ ـــ الزبور وهو كتاب الله ـ تعالى ـ المنزل على داود ـ عليه السلام ـ قال ـ تعالى ـ :

﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾[5].

د ـــ الإنجيل وهو كتاب الله ـ تعالى ـ المنزل على عيسى ـ عليه السلام ـ قال ـ تعالى ـ :

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾[6].

---

(١) سورة النجم : الآيتان (٣٦ ، ٣٧).
(٢) سورة الأعلى : الآيتان (١٨ ، ١٩).
(٣) سورة المائدة : آية (٤٤).
(٤) سورة آل عمران : الآيات من (٢-٤).
(٥) سورة النساء : آية (١٦٣).
(٦) سورة المائدة : آية (٤٦).

والإيمان بهذه الكتب التي أخبرنا الله ـ تعالى ـ عنها في القرآن الكريم واجب على وجه الخصوص بأن كلًا منها كتاب الله ـ تعالى ـ فيه النور والهدى أنزله على من ذكر من رسله وكلها داعية كما دعا القرآن الكريم إلى إفراد الله ـ تعالى ـ بالعبادة وحده فهي متفقة في الأصول وإن اختلفت في الشرائع قال ـ تعالى ـ : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[2] وبين القرآن الكريم أن الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ دعوا قومهم إلى ذلك يقول تعالى حاكيًا لنا قولهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[3].

ويقول الرسول ـ ﷺ ـ : «الأنبياء أخوة لعلات[4]، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[5]. ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع. والله أعلم.

ثالثًا : الكتب الموجودة لدى أهل الكتاب :

إن ما في أيدي أهل الكتاب بما يسمونه التوراة والإنجيل هو بلا شك مما لا تصح نسبته كله إلى أنبياء الله ـ تعالى ـ فلا يقال : إن التوراة الموجودة هي التي أنزلت على موسى ـ عليه السلام ـ، ولا أن الأناجيل الموجودة هي الإنجيل المنزل على عيسى ـ عليه السلام ـ فليسا هما اللذان أمرنا بالإيمان بهما على وجه التفصيل، ولا يصح الإيمان بشيء مما فيهما على أنه كلام الله تعالى إلاَّ ما جاء في القرآن الكريم منسوبًا إليهما، وهما كتابان منسوخان، ونسخهما القرآن الكريم. وقد ذكر ـ سبحانه وتعالى ـ وقوع التحريف فيهما في مواضع من كتابه : قال الله تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[6].

---

(١) سورة النحل : آية (٣٦).
(٢) سورة الأنبياء : آية (٢٥).
(٣) سورة الأعراف : الآيات (٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥).
(٤) العلات : الضرائر ـ بمعنى أخوة لأب.
(٥) انظري صحيح الإمام مسلم ٤/ ١٨٣٧ .
(٦) سورة البقرة آية (٧٥).

وقال الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾[1].

ومن تحريف أهل الكتاب لدينهم نسبتهم الولد لله ـ تعالى وتقدس ـ قال الله تعالى ـ مكذبًا مقولتهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2].

وكذلك تأليه النصارى لعيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ، وقولهم إن الله ثالث ثلاثة. يقول ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[4].

وحيث أخبر تعالى أنهم يحرفون كلامه، وقد نسوا حظا مما ذكروا به، ونسبوا لله ما يتنزه عنه من الولد، والهّوا معه سواه إلى غير ذلك مما أدخلوه في كتبهم فلا تصح معه نسبة هذه الكتب إلى الله ـ تعالى ـ، وهناك ما يؤيد عدم صحة هذه النسبة إلى الله ـ تعالى ـ مع ما صرح به القرآن الكريم.

(١) سورة المائدة: الآيات (١٣ ـ ١٥).
(٢) سورة التوبة: آية (٣٠).
(٣) سورة المائدة: آية (٧٢).
(٤) سورة المائدة: آية (٧٣).

ومن ذلك ما يلي :

أ ـ أن ما في أيدي أهل الكتاب من كتب يزعمون أنها مقدسة ليست نسخًا أصلية وإنما هي تراجمها.

ب ـ أن هذه الكتب قد اختلط فيها كلام الله ـ تعالى ـ بكلام غيره من المفسرين والمؤرخين، ومستنبطي الأحكام ونحو ذلك.

جـ ـ عدم صحة النسبة فيها إلى الرسول الذي نسبت إليه فليس لها سند موثوق، فالتوراة دونت بعد موسى ـ عليه السلام ـ بقرون عديدة. وأما الأناجيل فهي منسوبة إلى مؤلفيها، وقد اختيرت من أناجيل متعددة.

د ـ تعدد نسخها وتناقضها فيما بينها مما يدل دلالة قاطعة على تحريفها.

هـ ـ اشتمالها على عقائد فاسدة في تصور الخالق ووصفه بما يتضمن النقص، وكذلك وصف الرسل الكرام بما يتنزهون عنه، ولهذا فالواجب على المسلم اعتقاده أن كتب العهدين، العهد القديم والعهد الجديد، ليس كل ما فيها قد أنزله الله على رسله بل هي مما كتبوه فلا نصدق منها إلاَّ ما صدقه القرآن الكريم أو السنة المطهرة، ونكذب ما كذبه القرآن والسنة ومما اشتملت عليه من الباطل. ونسكت عما لم يأت تصديقه أو تكذيبه لاحتماله الصدق والكذب. والله أعلم.

رابعًا : القرآن الكريم :

أ ـ تعريفه :

القرآن في اللغة : مصدر كالقراءة ـ تقول قرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾﴾[1] أي قراءته، ثم نقل هذا المصدر، وجعل إسمًا للكتاب المنزل على محمد ـ ﷺ ـ، فأصبح علماً عليه دون غيره وسمي قرآنًا لكونه جامعًا لثمرة كتب الله كلها، كما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[2].

(١) سورة القيامة : آية (١٧).

(٢) سورة النحل : آية (٨٩).

وفي الاصطلاح : هو كلام الله ـ تعالى ـ المعجز المنزل على رسوله محمد ـ ﷺ ـ وحيًا، المكتوب في المصاحف والمحفوظ في الصدور، والمقروء بالألسن، والمسموع بالآذان، المنقول إلينا نقلاً متواترًا بلا شبهة، المتعبد بتلاوته.

ب ـــ القرآن كلام اللّه تعالى :

مذهب سلف الأمة وأئمتها : إن القرآن كلام الله ـ تعالى ـ بلفظه ومعناه، منزل غير مخلوق سمعه منه جبريل ـ عليه السلام ـ وبلغه إلى محمد ـ ﷺ ـ ومحمد ـ ﷺ ـ بلغه لأصحابه، وهو الذي نتلو بألسنتنا، ونكتب في مصاحفنا، ونحفظ في صدورنا، ونسمع بآذاننا لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[1].

ولما روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ : «نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو»[2] ولقوله ـ ﷺ ـ : «زينوا القرآن بأصواتكم»[3].

ففي الآية الكريمة سمى الله ـ تبارك وتعالى ـ المسموع وهو المتلو على المشركين من الرسول ـ ﷺ ـ كلام الله.

وفي الحديث الأول سمى المكتوب قرآنًا. كما قال عنه ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾[4]. وفي الحديث الثاني سمى الرسول ـ ﷺ ـ المتلو قرآنًا.

وأما الأدلة على كونه منزلاً غير مخلوق فكثيرة جدًا منها : قوله تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾[5].

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾[6].

---

(١) سورة التوبة : آية (٦).
(٢) البخاري : ٤/ ٦٨، مسلم : ٣/ ١٤٩٠ ، ١٤٩١ .
(٣) مسند الإمام أحمد : ٤/ ٢٨٣ . وانظري صحيح البخاري : ٩/ ١٩٣ .
(٤) سورة الواقعة : الآيتان (٧٧ ، ٧٨).
(٥) سورة الشعراء : الآيات (١٩٣ ، ١٩٥).
(٦) سورة غافر : الآيتان (١ ، ٢).

في الآيات النص الصريح على أن القرآن منزل من عند الله تعالى.

ولا يصح القول بأن القرآن الكريم أو غيره من كتب الله ـ تعالى ـ التي نزلها على رسله مخلوقة لأنها كلامه، وكلامه من صفاته، وصفاته غير مخلوقة.

والإيمان بكل ما ذكرنا عن القرآن الكريم واجب، كما يجب الإيمان بأنه آخر كتاب نزل من عند الله ـ تعالى ـ جاء مصدقًا ومؤيدًا لما جاء في كتب الله ـ تعالى ـ السابقة من الحق ومبينًا ما أدخل عليها من التحريف كما قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[1] وأنه جاء بشريعة عامة صالحة لكل زمان ومكان ناسخة لما سبقها من الشرائع. واجبة على من بلغته إلى قيام الساعة لا يقبل الله ـ تعالى ـ من أحد دينًا سواها بعد نزولها كما أخبر بذلك رسول الله ـ ﷺ ـ بقوله : «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلاَّ كان من أصحاب النار»[2]. وهذا الحديث صريح في بيان أن ما جاء به محمد ـ ﷺ ـ من الدين ناسخ لما سبقه.

جـ ـــ حفظ الله ـــ تعالى ـــ للقرآن :

القرآن الكريم المنزل على خاتم الأنبياء هو آخر كتب الله ـ تعالى ـ نزولاً إلى البشر. وهو ناسخ لما سبقه من الشرائع. لهذا جاء مشتملاً على كل ما يلزمهم في الحياة الدنيا إلى قيام الساعة ويأخذ بأيديهم إلى السعادة في الآخرة إن هم تبعوا تعاليمه وساروا على نهجه، وقد تكفل الله ـ تعالى ـ بحفظه لتقوم الحجة به على الناس قال ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[3].

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾[4] وكمال حفظه يستلزم حفظ ما يفسره، وهو سنة الرسول ـ ﷺ ـ.

---

(١) سورة المائدة : آية (٤٨).
(٢) صحيح الإمام مسلم : ١/ ١٣٤ .
(٣) سورة الحجر : آية (٩).
(٤) سورة فصلت : الآيتان (٤١ ، ٤٢).

فالقرآن الذي بين أيدينا اليوم هو المنزل على رسولنا محمد ـ ﷺ ـ بجملته وتفصيله لم تمتد إليه يد عابث ولن تمتد إليه بل سيبقى كما أُنْزِلَ إلى أن يرفع في آخر الزمان فيه الدلالة على الهدى والنور ـ مرجع الناس في عقائدهم وشرائعهم يستنبطون من نصوصه الأحكام لكل ما يجد في حياتهم فهو الفصل وهو حبل الله المتين وذكره الحكيم وصراطه المستقيم لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن. وقد بين الرسول ـ ﷺ ـ هذا القرآن للناس بأقواله وأفعاله وتقريراته قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

د ـــ التحدي بالقرآن :

جعل الله ـ تبارك وتعالى ـ كثيرًا من أدلة صدق الأنبياء تناسب ما اشتهر فيه أقوامهم، فلشهرة أهل مصر في وقت فرعون بالسحر جاءهم موسى ـ عليه السلام ـ بقلب العصا حية وإخراج يده بيضاء من غير سوء بعد أن يسلكها في جيبه. وجاء عيسى ـ عليه السلام ـ بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص في أمة اشتهرت بالطب، وهذا أبلغ في الدلالة حتى يستبين أولئك صدق صاحب الدعوى لمعرفتهم بجنس الدليل.

وقد بعث خاتم الأنبياء محمد ـ ﷺ ـ في وسط كثر اهتمام أهله بصناعة اللسان فناسب إتيانهم بهذا الكتاب المبين الذي هو من جنس ما برعوا فيه فهو كلام عربي مبين لكنه القمة فصاحة وبلاغة فوق مستوى جميعهم فأيقنوا أنه ليس في مقدور البشر وكان له تأثير قوي في نفوسهم إذا سمعوه، ولكن لاستيلاء الباطل على تلك النفوس حاولوا جاهدين عدم سماعه ومنع الرسول ـ ﷺ ـ من تلاوته على الناس في المجامع والمواسم كما حكى الله ذلك عنهم بقوله : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾(٢).

وقد غالط مشركوا قريش أنفسهم بادعائهم أن القرآن ليس من عند الله تعالى فتحداهم الله ـ تبارك وتعالى ـ بأن يأتوا بمثله وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك وهذا التحدي شامل لهم ولغيرهم ممن زعم هذا

(١) سورة النحل : آية (٤٤).
(٢) سورة فصلت : آية (٢٦).

الزعم من إنس أو جن إلى قيام الساعة فقال ـ تعالى ـ : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[1].

ثم إن الله ـ تعالى ـ تحداهم بالإتيان بأقل من ذلك فطلب منهم الإتيان بعشر سور مثله مفتريات إن كان مفترى كما يزعمون بقوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾[2].

ثم تحداهم بأقل من ذلك فطلب منهم الإتيان بسورة واحدة فقط إن كان هذا القرآن مفترى كما يزعمون بقوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾[3] وكرر سبحانه تحدي من كان في ريب من هذا القرآن وبالإتيان بسورة واحدة وأكد عدم استطاعتهم على ذلك بقوله : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[4].

ومعلوم أن هذا التحدي يصدق بأقصر سورة من القرآن يكون إتيانهم بها مصدقا لدعواهم، وأقصر السور في القرآن ثلاث آيات. وهذا غاية لإبطال دعواهم. يقول ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[5].

أي لما هو عليه من الفصاحة والبلاغة، مما ليس هو من مقدور الخلق الإتيان بمثله فهو معجزة خالدة باقية أعجزت من كانوا في الذروة من الفصاحة والبلاغة فكيف بمن هم دونهم ؟! كما أن القرآن الكريم اشتمل على دلائل كثيرة يصعب حصرها غير أوجه الإعجاز المتحدى بها من ذلك ما تضمنه من الإخبار

---

(١) سورة الإسراء : آية (٨٨).
(٢) سورة هود : آية (١٣).
(٣) سورة يونس : آية (٣٨).
(٤) سورة البقرة : الآيتان (٢٣ ، ٢٤).
(٥) سورة يونس : آية (٣٧).

عن الأمور الغيبية ماضية ومستقبلة، وبما فيه من أحكام تطبيقها يحقق السعادة في الدارين، كما أنه اشتمل على لفت نظر الإنسان إلى الكون وما فيه، وإلى الإنسان وتكوينه مما يدل دلالة صريحة على أنه من لدن حكيم خبير لا تخفى عليه خافية وهو على كل شيء قدير بيده الخير وهو الخلاق العليم.

الأســـــئـلـة

س١ : ما معنى الكتب لغة، واصطلاحاً ؟

س٢ : ما معنى الإيمان بالكتب ؟ مع ذكر الدليل على ما تقولين.

س٣ : ما معنى الإيمان بالكتب على وجه التفصيل ؟

س٤ : بأي شيء تتفق كتب الله تعالى، وبأي شيء اختلفت ؟ مع الاستدلال.

س٥ : ما الكتب الموجودة عند أهل الكتاب الآن وهل تصح نسبتها إلى الأنبياء ؟

س٦ : اذكري بعض الأدلة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل.

س٧ : ما معنى القرآن لغة واصطلاحاً ؟

س٨ : ما معنى كون القرآن كلام الله ـ تعالى ـ ؟ مع ذكر الأدلة.

س٩ : ما المراد بالإيمان بالقرآن الكريم ؟

س١٠ : لِمَاذَا حفظ الله القرآن الكريم دون بقية كتبه ؟ وما معنى حفظه ؟

س١١ : لِمَاذَا وقع التحدي بالقرآن الكريم ؟

س١٢ : ما درجات التحدي بالقرآن مع الاستدلال ؟

رابعاً : الإيـــمَـــانُ بالـــرّسُـــل

١ ـــ تعريف النّبي والرّسُول

النـبـــي لـغـــة : مشتق إما من نبأ وأنبأ بالهمز، بمعنى أخبر فهو مخبر عن الله تعالى. ومخبر من قبله تعالى.

أو مشتق من نبا بترك الهـمـز، بمـعـنى عـلا وارتفع فهو أشـرف الخلق وأعلاهم منزلة ومكانة.

وفي الاصطلاح : إنسان حر ذكر نبأه الله تعالى بشرع سابق يعلمه من حوله من أصحاب هذا الشرع.

والرسـول لغـة : المتابع لأخبار من أرسله، من قولهم : جاءت الإبل رسلًا، أي متتابعة.

والـرســـــول : اسم للرسالة، وللمرسل.

والإرســـــال : هو التوجيه.

وفي الاصطلاح : إنسان حر ذكر نبأه الله تعالى بشـرع وأُمر بتبـليغه إلى من لا يعلمه أو خالفه ممن أرسل إليـهم.

الفرق بين النبي والرسول :

النـبـوة شـــرط في الرسـالة فلا يكون رسولًا من لم يكن نبيًا، فالنبوة أعم فكل رسول نبي وليس كل نبـي رسـولاً.

وأيضًا : الرسول حمل رسالة إلى من لا يعلم دين الله وشرعه، أو إلى من غيّر الشرائع والأديان، لتعليمهم وإعادتهم إليها، وهو الحاكم فيهم. والنبي يبعث بالدعوة لشرع من قبله.

٢ ـــ النبوة منحة إلهية

النبوة ليست غاية توصل إليها الطرق فيبلغها البشر بجهدهم ولا رتبة تنال بالكسب، إنما هي منزلة عالية ورتبة خاصة يختار لها الله تعالى بمحض فضله من يشاء من خلقه فيعدهم ويهيئهم لتحملها فيحفظهم من تأثير الشياطين ويصونهم عن الشرك فضلا منه ورحمة من غير جهد بذلوه، به استحقوا النبوة ونالوا شرفها، بل منحة إلهية ونعمة ربانية كما قال تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾[١].

وقال لموسى : ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾[٢] وحكى الله تعالى قول يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام بقوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾[٣]، كما أنكر سبحانه وتعالى على من رأوا أحقية أحد الرجلين العظيمين في مكة والطائف بالنبوة وهما الوليد بن المغيرة، وعروة بن مسعود الثقفي، لما أوحى الله إلى محمد ـ ﷺ ـ وبيّن أنه الرب المتصرف الذي يتولى قسمة الأرزاق بين خلقه فلا يصح لأحد أن يتدخل في تحديد من يستحق رحمة نبوته ورسالته.

فقال عنهم : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٤].

وقد ندد سبحانه وتعالى بالمتعنتين الذين يقولون لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل اللّه بقوله : ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[٥].

---

(١) سورة مريم : آية (٥٨).
(٢) سورة الأعراف : آية (١٤٤).
(٣) سورة يوسف : آية (٦).
(٤) سورة الزخرف : الآيتان (٣١ ، ٣٢).
(٥) سورة الأنعام : آية (١٢٤).

في الآيات السابقة الدلالة الصريحة على أن النبوة لا تنال بالعظمة ولا بالعمل فهي نعمة من الله تعالى ورحمة يصطفى لها بعض خلقه بعلمه وحكمته فليست لمن يتحراها ولا لمن يتمناها.

٣ ـــ صفات الرسل ومعجزاتهم

أولاً : صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام :

عرفنا من تعريف الرسول، إنه إنسان حر ذكر يصطفيه الله تعالى من خيار البشر نسبًا فيجعله أكملهم عقلاً وأطهرهم نفسًا، وأفضلهم خلقًا ليؤدي أعمالاً جسامًا تتطلب كل ذلك من تلقي الوحي، وامتثاله وتبليغه، وقيادة الأمة، فهم صلوات الله وسلامه عليهم المثل الأعلى في صفاتهم وأخلاقهم والحديث عن صفاتهم طويل جدًا لكن نذكر منها :

أ ـــ الصـــدق :

أخبر الله ـ تبارك وتعالى ـ عن رسله إنهم صادقون بقوله : ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾[1] كما وصف بعضهم بذلك حيث قال عن خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾[2] وقال تعالى عن إسماعيل عليه السلام : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾[3]. وقال ـ تعالى ـ عن إدريس عليه السلام : ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾[4].

---

(١) سورة يس : آية (٥٢).
(٢) سورة مريم : آية (٤١).
(٣) سورة مريم : آية (٥٤).
(٤) سورة مريم : آية (٥٦).

وقال ـ تعالى ـ عن نبينا صلوات الله وسلامه عليه : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1]. ولا شك أن الصدق هو لب الرسالة وبالدعوة به تستقيم الأمور وتثمر الأعمال، والكذب منقصة يتنزه عنها صفوة الخلق، ومعصية يحذرون منها.

ب ـــ الصـــــبر :

أرسل الله ـ سبحانه وتعالى ـ رسله إلى الناس مبشرين ومنذرين يدعونهم إلى طاعة الله تعالى ويحذرونهم من مخالفة أمره. وهذا عمل صعب ومسلك شاق لا يطيقه كل أحد لكن منهم الصفوة هم أهل ذلك فقد لاقى رسل الله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ في سبيل دعوتهم صنوف المشاق وأنواع الأذى فلم يثن ذلك عزائهم ولم يوقف إقدامهم. وقد قص الله ـ تعالى ـ علينا أخبار بعض أنبيائه وما لاقوه من الأذى في سبيل دعوتهم وما كان منهم من الصبر والتحمل في سبيل ظهور الحق وإعلاء كلمة الله ـ تعالى ـ وقد أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بالصبر أسوة بأولي العزم من الرسل فقال : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[2].

وباستعراض ما قص الله تعالى علينا مما جرى لنوح، وإبراهيم، وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام مع أممهم وما لاقوه من المشاق والأذى ومع ذلك صبروا وصابروا إلى أن أَظْهَرَ الله أمره، ثم إن في سيرة خاتم الأنبياء نبينا عليه صلوات الله وسلامه المثل الأعلى في الصبر والتحمل فقد كذبه قومه وآذوه، وقاطعوه فصبر إلى أن أظهر الله دينه وأعلى كلمته. وتفصيل تلك القصص مما لا يتيسر في صفحات قليلة. وهو في كتاب الله مسطور.

---

(١) سورة الزمر : آية (٣٣).

(٢) سورة الأحقاف : آية (٣٥).

ثانيًا : معجزات الرسل عليهم السلام :

خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان وميزه بالعقل، وهذا العقل هو مناط التكليف وبمقتضاه يحاسب العبد على أعماله، وبه يميز بين الأشياء، ويفرق بين النافع والضار، فإذا جاء من يقول : إنه مرسل من الله تعالى لهداية الخلق وقيادتهم إلى طريق السعادة في الدنيا والآخرة، فهذا يعني بالنسبة للإنسان فلاحه أو هلاكه، لهذا فواجب عليه أن ينظر في حال الداعي ودعوته، وقد ميز الله ـ تبارك وتعالى ـ رسله عن سائر الخلق، واختصهم بأن حفظهم من كيد الشياطين ومكرهم فلم يجعل لهم القدرة على تغيير فطرتهم، فتميزوا عن أقوامهم بسيرتهم العطرة، وفطرتهم الصافية فكانت مع ما يدعون إليه دليلاً جليًّا على صدقهم لمن أنار الله بصيرته. وقد أيدهم ـ سبحانه وتعالى ـ زيادة على ذلك بما يضطر العقول إلى الإيمان بما أتوا به، فجاءوا بآيات باهرات لا يقدر على فعلها إلاَّ الله ـ تعالى ـ لأن الخلق له وحده، وهو الذي قدَّر الأَشياء على ما هي عليه، وجعلها تسير بنظام خاص لا يقدر أحد على تغييره، فإذا أراد الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يؤيد أحدًا تصديقًا لبعثته أجرى على يده ما على مثله يؤمن البشر مما لا يصلح على وجه الكمال إلاَّ له وحده ـ سبحانه ـ من العلم أو القدرة أو الغنى، فالله ـ تعالى ـ هو الذي أحاط بكل شيء علمًا، وهو على كل شيء قدير وهو الغني عن العالمين، وقد أمر الله رسوله محمدًا ـ ﷺ ـ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاث بقوله : ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[1]. فإذا جرى على يد الرسول شيء من ذلك فهو فعل الله ـ تعالى ـ لأنه ليس من مستطاع البشر فهو دليل قاطع إذا أضيف إلى ما عرف من حال الرسول مما يتفق وحال الرسل السابقين وصفة دعواتهم. وجب على المرسل إليه إتباع رسولهم وإلاَّ حل بهم عذاب الله ـ تعالى ـ، وقد كثرت آياتهم، وعلامات صدقهم فمنها ما يتوقف عليه صدقهم ومنها ما ليس كذلك مما يؤكد صدقهم ويقوي إيمان المؤمنين بهم.

وتعرف معجزات الرسل بأنها : كل خارق للعادة يظهره الله تعالى على أيدي أنبيائه ورسله على وجه

---

(١) سورة الأنعام : آية (٥٠).

يعجز البشر عن الإتيان بمثله. وقد جرى على أيدي أنبياء الله ورسله ما تقوم به الحجة ويلزم العقول بالخضوع والتصديق بما جاء به الرسل سواء بطلب أقوامهم أو بدون ذلك، وتلك المعجزات لا تخرج عن أن تكون إما من باب العلم كالإخبار بالأمور الغائبة الماضية أو المستقبلة كإخبار عيسى «عليه السلام» قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم. وكإخبار رسولنا محمد ـ ﷺ ـ بأخبار الأمم السابقة مما جاء في القرآن الكريم من ذكر قصصهم. وكإخباره ـ ﷺ ـ بالفتن وأشراط الساعة مما سيأتي مستقبلاً في كثير من الأحاديث.

وإما من باب القدرة ـ كتحويل العصا حية ـ وهي آيات موسى «عليه السلام» إلى فرعون وقومه، وكإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وهذه من آيات عيسى «عليه السلام» وكانشقاق القمر آية من آيات صدق رسولنا ـ ﷺ ـ.

وإما من باب الغنى. كحماية الرسول ـ ﷺ ـ ممن أرادوا به سوءاً في مواضع كثيرة في مكة ليلة الهجرة، وفي الغار، وفي الطريق إلى المدينة عندما لحق به سراقة بن مالك، وفي المدينة لما حاول اليهود اغتياله ونحو ذلك. فهذه الأمثلة تدل على أن الله أغنى رسوله بها عن حماية خلقه.

٤ ـــ الإيمان بالرسل جميعًا

معنى الإيمان بهم هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادته وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه. وأن جميعهم صادقون كرام بررة هداة مهتدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به لم يكتموا ولم يغيروا قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝٣٥ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾[1]

وأن بعضهم أفضل من بعض كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ

(١) سورة النحل: الآيتان (٣٥، ٣٦).

كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[1].

كما قد اتخذ الله إبراهيم ومحمداً «صلوات الله وسلامه عليهما» خليلين، وكلم موسى تكليمًا، ورفع إدريس مكانًا عليًا.

والإيمان بهم جميعًا واجب فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعًا وهذا كفر بمن أرسلهم وهو اللّه ـ تبارك وتعالى ـ قال ـ تعالى ـ : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾[3].

وكما يجب الإيمان بهم على وجه العموم من علمنا منهم ومن لم نعلم كذلك يجب الإيمان على وجه الخصوص بكل من سمى الله ـ سبحانه وتعالى ـ منهم، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر بضعة وعشرين رسولاً هم : نوح، وإدريس، وصالح، وإبراهيم، وهود، ولوط، ويونس، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، واليسع، وذو الكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، وإلياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين». مع الاعتقاد بأن لله تعالى رسلاً سواهم كما قال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٥٣).
(٢) سورة البقرة : آية (٢٨٥).
(٣) سورة النساء : الآيات (١٥٠ ، ١٥٢).
(٤) سورة غافر : آية (٧٨).

ولب الإيمان بهم طاعتهم بإتباع أوامرهم والابتعاد عن مناهيهم. والسير على نهجهم فهم المبلغون عن الله تعالى. وهم الأسوة لأممهم، وقد عصمهم الله ـ تعالى ـ من الخطأ قال ـ تعالى ـ لنبيه ـ ﷺ ـ : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[1].

فطاعة الله ـ تعالى ـ وعبادته باتباعهم والاقتداء بهم.

وليس من الإيمان بهم رفعهم فوق منزلتهم التي جعلها الله تعالى لهم، فهم عباد من البشر اختارهم الله وأعدهم لحمل رسالته، طبائعهم طبائع البشر، ولا يملكون شيئًا من خصائص الألوهية، فلا يعلمون من الغيب إلاَّ ما أطلعهم الله عليه قال ـ تعالى ـ آمرًا رسوله محمدًا ـ ﷺ ـ إبلاغ أمته ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[2]. وقال : ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[3] وقد حكى الله ـ تعالى ـ عن نوح «عليه السلام» قوله لقومه : ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[4].

فأول رسل الله تعالى وخاتم الأنبياء والمرسلين ينفون خصائص الألوهية عنهم، ويبينون أنهم ليسوا ملائكة ولا علم لهم بالغيب ولا يملكون خزائن الله تعالى، وإنما هم بشر فضلهم الله بالوحي وبلغوا أعلى مقامات البشرية وهي العبودية الخالصة لله رب العالمين.

---

(١) سورة آل عمران : الآيتان (٣١ ، ٣٢).
(٢) سورة الكهف : آية (١١٠)، وسورة فصلت : آية (٦).
(٣) سورة الأنعام : آية (٥٠).
(٤) سورة هود : آية (٣١).

قد أكمل الله ـ تعالى ـ لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام دينًا، على يد المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد «عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم» فهو رسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

فكل من قامت عليه الحجة برسالته «عليه الصلاة والسلام» ولم يؤمن به استحق عقاب الله ـ تعالى ـ كغيره من الكافرين قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[2].

والأحاديث الدالة على ختم النبوة كثيرة منها قوله ـ ﷺ ـ: «إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي»[3]. وقوله ـ ﷺ ـ: «فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»[4].

وفي الآيات والأحاديث السابقة، دلالة صريحة على أن الله تعالى أتم علينا نعمته بأن هدانا لأقوم طريق، وأكمل لنا ديننا فلا نحتاج إلى سواه، ولا إلى نبي غير نبينا لذا جعله الله خاتم الأنبياء فلا حلال إلاَّ ما أحله ولا حرام إلاَّ ما حرمه، ولا دين إلاَّ ما شرعه وهو رسول الله إلى الخلق كافة كما قال ـ تعالى ـ آمرا رسوله إبلاغ الناس: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[5] وقال: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[6].

---

(١) سورة المائدة: آية (٣).
(٢) سورة الأحزاب: آية (٤٠).
(٣) صحيح الإمام مسلم ٤/ ١٨٢٨، وانظري صحيح الإمام البخاري ٦/ ١٨٨ .
(٤) صحيح الإمام مسلم ١/ ٣٧١ ، وانظري مسند الإمام أحمد ٢/ ٤١٢ .
(٥) سورة الأعراف: آية (١٥٨).
(٦) سورة الأنعام: آية (١٩).

وقال ـ تعالى ـ : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1] وقال رسول الله ـ ﷺ ـ في الحديث السابق «وأرسلت إلى الخلق كافة». وقال : «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلاَّ كان من أصحاب النار»[2] فالشهادة لله سبحانه بالوحدانية ولنبيه بالرسالة هما الركن الأول من أركان الإسلام الذي لا يقبل الله دينًا سواه.

كما قال الرسول ـ ﷺ ـ : «بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وحج البيت، وصوم رمضان»[3].

ولإقامة الحجة على الناس جميعًا إلى يوم القيامة جعل الله ـ تعالى ـ القرآن الكريم الذي هو أقوى أدلة صدقه ـ ﷺ ـ معجزة خالدة تكفل الله ـ تعالى ـ بحفظها وصيانتها عن أيدي العابثين لتكون دليل صدق لمحمد ـ ﷺ ـ وحجة الله تعالى على خلقه إلى قيام الساعة.

الأســـــئـلـة

س١ : ما معنى النبي. لغة، واصطلاحاً ؟

س٢ : ما معنى الرسول لغة واصطلاحاً ؟ وما الفرق بينه وبين النبي ؟

س٣ : هل يمكن الحصول على النبوة من طريق العمل، أم ماذا ؟

س٤ : اذكري بعض أدلة وجوب اتِّصاف الرسل بالصدق.

س٥ : بِمَ تعرِّفين المعجزة ؟ واذكري أمثلة من معجزات الرسل.

س٦ : ما معنى الإيمان بالرسل عمومًا، وخصوصًا ؟

س٧ : هل يعتبر الغلو في الرسل من الإيمان بهم ؟ ولِمَاذَا ؟

س٨ : اذكري بعض خصائص الرسالة المحمدية.

س٩ : لِمَاذَا تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم دون سائر كتبه التي أنزلَت على رسله ؟

---

(١) سورة سبأ : آية (٢٨).
(٢) صحيح الإمام مسلم ١/ ١٣٤ .
(٣) صحيح الإمام مسلم ١/ ٤٥، وانظري صحيح البخاري ١/ ١٣ .

الفصل الدراسي الثاني

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان ومعناه : الاعتقاد الجازم بصدق كل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه العزيز أو أخبر به رسوله ـ ﷺ ـ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وما بعد ذلك من البعث والحشر والصحف والحساب، والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار وما أعد الله تعالى لأهلهما فيهما.

والأدلة على وجوب هذا الإيمان كثيرة جدًا منها ما جاء عامًا في الإيمان بأمور الآخرة إما ثناء على المؤمنين باليوم الآخر أو طلبًا للإيمان بذلك. ومن الأدلة ما جاء خاصًا ببعض أمور الآخرة كعذاب القبر ونعيمه، والبعث والحشر، ونحو ذلك، وهو كثير جدًا في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة.

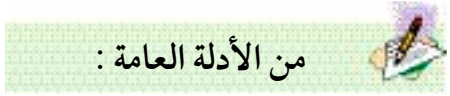

أ ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[1].

ب ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟

(١) سورة البقرة : آية (٦٢).

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[1].

جـ ـ قول الرسول ـ ﷺ ـ جوابًا لجبريل «عليه السلام» حين سأله عن الإيمان : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[2].

د ـ قول الله ـ تعالى ـ عن البعث : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾[3].

هـ ـ قول اللّه ـ تعالى ـ في شأن الحساب : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾[4].

فالآيات فيها دلالة الجزاء على الأعمال والحساب اليسير وإعطاء الصحف للمحسنين باليمين والسرور بعد ذلك. والحساب العسير وإعطاء الصحف للمسيئين من وراء الظهر بالشمال وبلوغ السعير بعد ذلك.

و ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾[5]. وهو الحوض الذي أعطيه رسولنا ـ ﷺ ـ ترد عليه أمته ـ ﷺ ـ إلاَّ من خالف سنته.

---

(١) سورة البقرة : آية (١٧٧).
(٢) صحيح الإمام مسلم ١/ ٣٦، ٣٧ .
(٣) سورة المؤمنون : آية (١٦).
(٤) سورة الانشقاق : الآيات (٦ ، ١٢).
(٥) سورة الكوثر : آية (١).

٢ ـــ منهج القرآن الكريم في إثبات البَعث

إن مما أنكره أكثر أهل الجاهلية من أمور الرسالة أمر البعث بعد الموت، ورأوا استبعاد عودة الحياة بعد إحالة الأجسام ترابًا وتفرقها في الأرض أخبر الله عنهم بقوله : ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٥﴾[١] وأيضاً : ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٨٢ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝٨٣﴾[٢]. كما قالوا : ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾[٣]. وقال ـ تعالى ـ عنهم : ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ۝١٠﴾[٤].

والآيات التي ذكر الله تعالى فيها استنكار المشركين للبعث أكثر مما ذكرنا وكلها تحكي حالة استبعادهم لما وعدهم الله به من الحياة الآخرة والحساب على الأعمال.

وقد جاء في القرآن الكريم الاستدلال على إثبات البعث والرد على المنكرين بطرق برهانية باهرة تضطر العقول إلى التسليم والإذعان وأغلب تلك الطرق مُشَاهدٌ محسوس يدرك ببداهة العقول، ومنها ما وقع في حالات خاصة جاء الخبر عنها في القرآن الكريم، وتلك الطرق أربعة هي :

الطريق الأول :

الاستدلال بخلق السماوات والأرض، تلك الأجرام العظيمة الشاهدة بما فيها من الدقة والاتقان وعجيب الصنعة على قدرة الخالق المطلقة، الأمر الذي يوجب قدرته على ما هو أهون من ذلك من باب أولى.

---

(١) سورة الرعد : آية (٥).
(٢) سورة المؤمنون : الآيتان (٨٢ ، ٨٣).
(٣) سورة ق : آية (٣).
(٤) سورة السجدة : آية (١٠).

قال ـ تعالى ـ مبينًا هذا : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[1] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[3].

والآيات في هذا كثيرة يبين تبارك وتعالى فيها كلها أن خلق الإنسان، وإحيائه بعد موته أيسر وأهون من خلق هذه المخلوقات العظيمة مع أن الكل هين عليه تعالى.

الطريق الثاني :

الاستدلال على البعث بخلق الإنسان أولاً لأن من خلق الإنسان ابتداءً قادر على الإعادة ثانيًا وجاء تقرير هذا في القرآن الكريم كثيرًا كما في قوله سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[4].

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾[5].

---

(١) سورة الإسراء : آية (٩٩).
(٢) سورة الأحقاف : آية (٣٣).
(٣) سورة غافر : آية (٥٧).
(٤) سورة الحج : آية (٥).
(٥) سورة الروم : آية (٢٧).

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1]. وقوله ـ تعالى ـ : ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾[2].

وفي النظر إلى الآيات التي سردنا وما ماثلها مما لم نذكره لفت انتباه المنكرين للبعث بأن ينظروا في أنفسهم من أين خلقت ابتداء وفي الأطوار التي مر بها خلقهم حيث إن كل طور يختلف عن سابقه، فمن قدر على الخلق أول الأمر لا تعجزه الإعادة مرة أخرى فهي أهون من الإنشاء ابتداء. وهذا التفاوت في حكم العقل والعادة بالنسبة للمخلوق أما بالنسبة لقدرة الله ـ تعالى ـ فليس شيء أهون من شيء بل كل شيء عليه يسير.

الطريق الثالث :

أقام الله الدليل في القرآن الكريم على بعث الأجساد بعد الموت بإحياء الأرض بعد موتها كما جاء ذلك في آيات كثيرة منها قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾[3].

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾[4].

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾[5].

---

(١) سورة يس : الآيات (٧٧ ـ ٧٩).
(٢) سورة ق : آية (١٥).
(٣) سورة الأعراف : آية (٥٧).
(٤) سورة الحج : آية (٥).
(٥) سورة الزخرف : آية (١١).

في الآيات السابقة وأمثالها يبين ـ تعالى ـ أن الإحياء بعد الإماتة ممكن بالنسبة لمن يملك تصريف الأمور كلها والدليل الحسي أمامكم ترونه دائمًا، وهو رؤيتكم الأرض اليابسة الجرداء التي لا حياة فيها، فيسوق الله لها المطر فتصبح بعد ذلك خضراء نضرة قد نمت فيها الأشجار وازدهرت فيها الثمار فالقادر على هذا قادر على إعادة الأجسام وإحيائها بعد بلائها وتفرقها وهو بكل خلق عليم.

الطريق الرابع :

وهذا الطريق هو ما جاء الخبر عنه في القرآن الكريم من إحياء الله تعالى بعض الموتى في الدنيا. آية من آيات الله تعالى تضطر المنكرين لدينه إلى الاعتراف بصدق بلاغ الرسل وتزيد المؤمنين إيمانًا. من ذلك ما أخبر الله ـ تعالى ـ عنه بقوله : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[1] .

وقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[2].

وقوله : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ

---

(١) سورة البقرة : الآيتان (٧٢ ، ٧٣).

(٢) سورة البقرة : آية (٢٤٣).

إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾[1].

ومن هذا الطريق ما جرى على يد عيسى «عليه السلام» معجزة له من إحياء الموتى بإذن الله ـ تعالى ـ، ولا شك أن دلالة هذه الأدلة قطعية على إثبات البعث لأن من أحيا نفسًا واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس كما أكّد هذا ـ تبارك وتعالى ـ بقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾[2].

ولأهمية الإيمان بالبعث في جانب الحياة الدنيا لتحقق الحكمة الإلهية به، ووجود من ينكره جاء الاستدلال عليه في القرآن بتلك الطرق المختلفة، فكلما كانت الحاجة إلى شيء أشد كانت أدلته أظهر رحمة من الله بخلقه.

(١) سورة البقرة: الآيتان (٢٥٩، ٢٦٠).
(٢) سورة لقمان: آية (٢٨).

سـؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه.

القــبر : واحد القبور، وقَبَرَ الميت دَفَنَه.

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ـ ﷺ ـ في ثبوت سؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه فالإيمان بذلك واجب.

والنعيم والعذاب للروح والجسد معًا بحسب تعلق الروح بالجسد في هذه الحياة البرزخية[1] حيث إنه مخالف لتعلقها بها في الدنيا والآخرة فأحكام هذه الحياة على الروح والجسد تابع لها بعكس الحياة الدنيوية.

وعلى هذا يفهم أن نعيم القبر وعذابه يحصل لمن استحقه، قُبِرَ أو لم يقبر أكلته السباع، أو احترق حتى صار رمادًا أو غرق في البحر أو غير ذلك. والأدلة على ذلك كثيرة جدًا منها :

أ ـ قــول الله ـ تـعـالى ـ : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾[2].

فقد روى الإمام مسلم بسنده عن البراء بن عازب عن النبي ـ ﷺ ـ قال : («يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت» قال : نزلت في عذاب القبر، فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ونبي محمد ـ ﷺ ـ فذلك قول الله عز وجل : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾)[3].

فتفسير الحديث للآية دليل على السؤال في القبر يوضح هذا الدليل التالي :

ب ـ روى مسلم بسنده عن قتاد عن أنس بن مالك قال : قال نبي الله ـ ﷺ ـ «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم» قال : «يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول

---

(١) البرزخ الحاجز بين الشيئين وهو ما بين الموت إلى القيامة فمن مات فقد دخل البرزخ.

(٢) سورة إبراهيم : آية (٢٧).

(٣) صحيح الإمام مسلم ٤/ ٢٢٠١ .

في هذا الرجل ؟» «قال فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله» قال : فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة» قال نبي الله ـ ﷺ ـ فيراهما جميعًا. قال قتادة : «وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعًا ويملأ عليه خضرًا[1] إلى يوم يبعثون»[2].

جـ ـ روى البخاري بسنده عن ابن عباس «رضي الله عنهما» قال : «مر النبي ـ ﷺ ـ على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال بلى : أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستبرىء من بوله قال ثم أخذ عودًا رطبًا فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»[3].

د ـ روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ «يدعو اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال»[4]. هذه الأدلة وأمثالها تدل على أن الميت يمتحن في قبره فمن ثبته الله تعالى وأجاب بالحق فسح له في قبره وأوتي من نعيم الآخرة، ومن ضل الصواب في سلوكه في الحياة الدنيا فلن يوفق للصواب عند سؤال الملكين فيضرب بمطارق من حديد ويضيق عليه في قبره وينالله من العذاب بحسب ذنوبه إلى أن تقوم الساعة، أو إلى فترة من الزمن فعذاب القبر نوعان :

النوع الأول :

دائم لا ينقطع إلى قيام الساعة وهو للكفار والمنافقين وبعض العصاة كما أخبر تعالى عن آل فرعون بقوله : ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[5].

(١) الخضر بفتح الخاء وكسر الضاد النعم الغضة الناعمة، وأصله من خضرة الشجر.
(٢) صحيح الإمام مسلم ٤/ ٢٢٠٠ ، ٢٢٠١ ، وانظري صحيح الإمام البخاري ٢/ ١٢٣ .
(٣) صحيح الإمام البخاري ٢/ ١٢٤ .
(٤) صحيح الإمام البخاري ٢/ ١٢٤، وانظري صحيح مسلم ٤/ ٢٢٠٠ .
(٥) سورة غافر : آية (٤٦).

النوع الثاني :

مدة ثم ينقطع وهو عذاب العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه العذاب أو ينقطع عنه لكون معصيته لا تستحق من العذاب إلاَّ هذا أو بسبب حصول بعض مكفرات الذنوب مما يكون للإنسان بعد مماته من دعاء ولد صالح، أو صدقة جارية خلفها في الدنيا، أو علم ينتفع به. والله غفور رحيم.

القيامة عبارة عن قيام الساعة المذكور في مثل قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾[١]. ونحو ذلك وقد ذكرت في القرآن بعدة أسماء منها القارعة، والغاشية، والطامة، والواقعة، والحاقة، والصاخة، ويوم الحساب، ويوم الدين.

وأدلة وقوعها كثيرة جدًا منها :

أ ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۝٧﴾[٢].

ب ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩﴾[٣].

جـ ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾[٤].

د ـ قول الرسول ـ ﷺ ـ : «بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن إصبعيه السبابة والوسطى»[٥].

ومع قطعية ثبوتها ووجوب الإيمان بها فقد استأثر الله ـ تعالى ـ بالعلم بوقت وقوعها فلم يطلع أحدًا على تحديده لكنه أخبر بعلامات تدل على قرب وقوعها :

---

(١) سورة غافر آية (٤٦) وسورة الجاثية آية (٢٧).
(٢) سورة الحج الآية (٧).
(٣) سورة غافر آية (٥٩).
(٤) سورة القمر آية (١).
(٥) انظري صحيح البخاري ٦/ ٢٠٦ ، وصحيح مسلم ٢/ ٥٩٢ .

أولاً : أدلة استئثار الله بعلمها :

والأدلة على هذا كثيرة جدًا منها ما يلي :

أ ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[1].

ب ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[2].

جـ ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾[3].

ثانيًا : علامات الساعة :

لما اقتضت حكمة الله تعالى إخفاء وقت وقوعها أعلم نبيه محمدًا ـ ﷺ ـ بأمارات قربها فأخبرنا ـ ﷺ ـ بعلامات كثيرة يدل ظهورها على قرب وقوع الساعة وهي نوعان، علامات صغرى تدل على قربها وعلامات كبرى تكون بين يديها قريبًا تنهال متتابعة.

فمن علاماتها الصغرى ما يلي :

أ ـ «جاء في حديث جبريل «عليه السلام» حين سأل الرسول ـ ﷺ ـ بقوله «متى الساعة ؟ قال ما

---

(١) سورة الأعراف آية (١٨٧).

(٢) سورة لقمان آية (٣٤).

(٣) سورة الأحزاب آية (٦٣).

المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها[1] إذا ولدت الأمة ربها[2]، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم[3] في البنيان»[4].

ب ـ ومنها قتال المسلمين لليهود وانتصار المسلمين عليهم يدل على هذا : ما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة «رضي الله عنه»، إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلاّ الغرقد فإنه من شجر اليهود»[5].

والعلامات الصغرى التي أخبر بها الرسول ـ ﷺ ـ يطول ذكرها بأدلتها كتقارب الزمان ونقص العمل وظهور الفتن وكثرة القتل وكثرة الزنا والفسوق وغير ذلك.

وأما العلامات الكبرى فمنها :

أ ـ خروج الدجال وقد أخبر الرسول ـ ﷺ ـ بخروجه بأحاديث كثيرة بلغت التواتر وقد أنذرت به الأنبياء أقوامها وحذرت منه أممها، وقد أخبرنا الرسول ـ ﷺ ـ بأنه أعظم فتنة تحصل من خلق آدم إلى قيام الساعة، ومن دعائه ـ ﷺ ـ الاستعاذة من فتنته وأمر أمته بذلك. ومن الأحاديث الكثيرة الواردة في التحذير منه ما رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال النبي ـ ﷺ ـ : «ما بعث نبي إلاّ أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور وإن بين عينيه مكتوب كافر»[6].

ب ـ نزول نبي الله عيسى ـ عليه السلام ـ على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيقتل الدجال ويدعو

---

(١) الأشراط جمع شرط بفتح الشين والراء، والأشراط العلامات، وقيل المقدمات وقيل صغار أمورها قبل تمامها.
(٢) ربها : أي سيّدها ومالكها.
(٣) البهم الصغار من أولاد الغنم.
(٤) صحيح البخاري ١/ ٢٠ ـ وانظري صحيح مسلم ١/ ٣٩ .
(٥) صحيح الإمام مسلم ٤/ ٢٢٣٩ ، انظري صحيح الإمام البخاري ٤/ ٥١ .
(٦) صحيح البخاري ٩/ ٧٥ ، ٧٦، انظري مسلم ٤/ ٢٢٤٨ .

إلى دين الإسلام ويحكم به ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية والأدلة على هذا كثيرة منها ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة «رضي الله عنه» أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»(١).

جـ ـ طلوع الشمس من مغربها وهذه علامة اقتراب الساعة وبداية تغير نظام هذا الكون الذي يسير به ولشدة تأثير هذه الآية وحجبها للآمال يفزع الناس عند رؤيتها ويؤمنون جميعًا ولكن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل كما قال ـ تعالى ـ : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾(٢).

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة «رضي الله عنه» أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا»(٣).

وهناك علامات كثيرة غير ما ذكرنا كظهور المهدي، والدابة، والدخان ونار على أرض الحجاز وغير ذلك وهي متقاربة جدًا يعقبها نهاية الدنيا وموت جميع الخلق قال ـ تعالى ـ : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(٤).

وقد سئل رسول الله ـ ﷺ ـ عن الصور فقال قرن ينفخ فيه(٥). والذي ينفخ فيه إسرافيل «عليه السلام» فيموت من في السماوات والأرض إلاَّ من شاء الله والله أعلم.

---

(١) صحيح الإمام البخاري ٣/ ١٧٨ . انظري صحيح الإمام مسلم ١/ ١٣٦ .
(٢) سورة الأنعام : آية (١٥٨).
(٣) صحيح الإمام مسلم ١/ ١٣٧ . انظري صحيح البخاري ٠/ ١٣٢ .
(٤) سورة الزمر : آية (٦٨).
(٥) انظري مسند الإمام أحمد ٢/ ١٦٢ ، ١٩٢ .

٥ ـــ البَعـــثُ والحَـــشرُ

بعد معرفة أدلة البعث نشير هنا إلى هيئته، وهو أنه بعد النفخة الأولى في الصور وموت جميع الخلق يمكثون مدة قبل البعث كما جاء في الحديث المتفق على صحته من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «ما بين النفختين أربعون. قالوا : يا أبا هريرة أربعون يومًا ؟ قال : أبيت[١]، قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال : أبيت، قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيت. ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل. قال : وليس من الإنسان شيء إلاَّ يبلى. إلاَّ عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[٢].

فإذا نبت عجب الذنب وعادت الأجسام كما كانت نُفِخَ في الصور النفخة الثانية فعادت كل روح إلى جسدها قال ـ تعالى ـ : ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾[٣]. فتعود الحياة مرة ثانية كما كانت أول مرة قال ـ تعالى ـ : ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[٤]. وقال ـ تعالى ـ : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾[٥]. وقال ـ تعالى ـ : ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ۝٤٢﴾[٦] وقال ـ تعالى ـ : ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾[٧] والآيات في هذا كثيرة جدًا.

وبعد هذا القيام يساق الخلق إلى أرض المحشر قال ـ تعالى ـ : ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤﴾[٨] وقال : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧﴾[٩]

---

(١) «قال : أبيت» أي أبيت الجزم إلاَّ بأربعين فقط من غير تمييز.
(٢) صحيح الإمام مسلم ٤/ ٢٢٧٠ ، ٢٢٧١ .
(٣) سورة التكوير : آية (٧).
(٤) سورة الأنبياء : آية (١٠٤).
(٥) سورة يس : الآيتان (٥١ ، ٥٢).
(٦) سورة ق : آية (٤٢).
(٧) سورة المطففين : آية (٦).
(٨) سورة ق : آية (٤٤).
(٩) سورة الكهف : آية (٤٧).

وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾[1].

وفي الآية دلالة على أن الحشر من حقائق الآخرة وهو جمعهم إلى أرض المحشر من أماكن بعثهم على صفات مختلفة.

وهناك يقف الخلق وقوفًا طويلاً انتظارًا لفصل القضاء، وهم على أحوال مختلفة تحكي حالهم في الحياة الدنيا فتظهر أعمال الناس فلا تخفى على أحد مع ما في الموقف من الرهبة والشدة فيطلبون من يشفع لهم إلى ربهم ليقضي بينهم فيذهبون إلى أبيهم آدم «عليه السلام» فيأمرهم بالذهاب إلى نوح «عليه السلام» ونوح يأمرهم بالذهاب إلى إبراهيم «عليه السلام»، ويأمرهم إبراهيم بالذهاب إلى موسى «عليه السلام»، وكلهم يعتذرون بأن الله غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وبذنوب حصلت منهم. ويأمرهم موسى «عليه السلام» بالذهاب إلى عيسى «عليه السلام» ويعتذر بأن الله ـ تعالى ـ غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ويأمرهم بالذهاب إلى محمد ـ ﷺ ـ فيشفع بذلك محمد ـ ﷺ ـ ثم يأذن الله تعالى بالقضاء بين الخلائق[2]. والله سريع الحساب، وإليك ذكر بعض أدلة المواقف الحاصلة في القيامة قبل دخول الجنة أو النار:

أولاً: العرض والحساب:

المراد بهذا أَن الله سبحانه وتعالى يظهر الإنسان على أعماله في الحياة الدنيا ويقرره بذلك. كما يقتص لبعض الخلق من بعض ويقضي بينهم وذلك على الله يسير والأدلة على هذا القرآن والسنة كثيرة جدًا مثل:

---

(١) سورة يونس: آية (٤٥).

(٢) يراجع في هذا حديث الشفاعة الطويل في كتب السنة كالبخاري ٩/ ١٧٩، ١٨٠. ومسلم ١/ ١٨٤ - ١٨٦. ومسند الإمام أحمد ٢/ ٤٣٥، ٤٣٦.

قوله ـ تعالى ـ : ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾[1] وقوله : ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾[2] وقوله : ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧﴾[3] وقوله : ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾[4].

والله سبحانه وتعالى هو الذي يتولى حساب الخلق بنفسه لما روى البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «ما منكم من أحد إلاَّ سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلاَّ ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلاَّ ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلاَّ النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة»[5].

فيؤتى بالكتب التي دونتها الحفظة على ابن آدم ليقرأ ما كتب بها وليقف كل إنسان على عمله كما أخبر تبارك وتعالى عن هذا بقوله : ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾[6].

وقال : ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ۖ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾[7].

ويعرف كل إنسان حاله كما يعلم الناس ذلك عند توزيع الكتب فمن أوتي كتابه باليمين فهو من المفلحين وحسابه سهل ميسر ومن أوتي كتابه بشماله من وراء ظهره فحسابه عسير ومن نوقش الحساب

---

(١) سورة الأعراف : آية (٦).
(٢) سورة الكهف : آية (٤٨).
(٣) سورة غافر : آية (١٧).
(٤) سورة الغاشية : الآيتان (٢٥ ، ٢٦).
(٥) صحيح الإمام البخاري ٩/ ١٨١ ، وصحيح الإمام مسلم ٢/ ٧٠٣ ، ٧٠٤ .
(٦) سورة الكهف : آية (٤٩).
(٧) سورة الإسراء : الآيتان (١٣ ، ١٤).

هلك لما روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة «رضي الله عنها» قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «ليس أحد يحاسب إلا هلك قالت : قلت يا رسول الله جعلني الله فداك أليس يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾[1] قال ذلك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك[2]».

فمن فضل الله ـ تعالى ـ ولطفه بالمؤمنين لا يناقشهم الحساب على أعمالهم وإنما يعرضها عليهم ويقررهم بها وهي مما ستره عليهم في الدنيا وكذلك لا يطلع عليها أحدا في هذا الموقف ويقول لهؤلاء إني قد سترت ذلك في الدنيا وأنا أغفرها اليوم بخلاف الكفار فينادى بهم على رؤوس الأشهاد لما جاء عن ابن عمر أنه سئل : كيف سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول في النجوى ؟ قال : سمعته يقول «يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه[3] فيقرره بذنوبه، فيقول هل تعرف ؟ فيقول : أي رب ! أعرف. قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته. وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على الله»[4].

وقد أحصى ـ تبارك وتعالى ـ على الخلق جميع أعمالهم خيرًا أو شرًا كما قال : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾[5]. وقال : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾[6].

فسيرى كل عامل عمله ولا مجال للإنكار لأن الأرض تخبر بما عمل عليها وتنطق الجوارح بما كسبت قال تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣

---

(١) سورة الانشقاق : الآيتان (٧ ، ٨).

(٢) صحيح الإمام البخاري ٦/ ٢٠٨ . انظري صحيح الإمام مسلم ٢٢٠٤/ ٤ ، ٢٢٠٥ .

(٣) كنفه : هو ستره وعفوه.

(٤) صحيح الإمام مسلم ٤/ ٢١٢٠ . انظري صحيح البخاري ٦/ ٩٣ .

(٥) سورة الزلزلة : الآيتان (٧ ، ٨).

(٦) سورة المجادلة : آية (٦).

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾[1] وقال تعالى : ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾[2]. فالموقف شديد والكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

ثانيًا : الحـــوض :

الحوض : مجتمع الماء، وجمعه حياض. والمراد بالحوض هنا مورد عظيم ترده أمة محمد ـ ﷺ ـ يوم القيامة إلاَّ من خالف هديه وبدل بعده. وقد تواترت الأحاديث في خبر الحوض وصفته من ذلك ما يلي :

أ ـ روى البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس بن مالك : أن النبي ـ ﷺ ـ قال : «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»[3].

ب ـ روى البخاري ومسلم بسنديهما عن عبدالملك بن عمير قال : سمعت جندبا يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : «أنا فرطكم[4] على الحوض»[5].

جـ ـ جاء في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال وهو بين ظهراني أصحابه : «إني على الحوض. أنتظر من يرد عليّ منكم. فوالله ليقتطعن دوني رجال، فلأقولن : أي ربي، منّي ومن أمتي : فيقول : إنك لا تدري ما عملوا بعدك. مازالوا يرجعون على أعقابهم»[6]. في الأحاديث التي ذكرنا دلالة على إثبات حوض الرسول ـ ﷺ ـ وذكر بعض صفاته. وأن الرسول ـ ﷺ ـ يتقدم أمته ليردوا عليه. وأن الابتداع ومخالفة الأوامر موانع من ورود هذا الحوض. ومن صفات الحوض الواردة في الأحاديث، أنه في غاية العظم والاتساع عرضه وطوله سواء كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، ويمد من نهر الكوثر يشخب

---

(١) سورة الزلزلة : الآيات (١ ـ ٤). (٢) سورة يس : آية (٦٥).
(٣) صحيح الإمام البخاري ٨/ ١٤٩ . وصحيح الإمام مسلم ٤/ ١٨٠٠ .
(٤) الفرط هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء، ونحوها.
(٥) صحيح الإمام البخاري ٨/ ١٥١ . وصحيح الإمام مسلم ٤/ ١٧٩٢ .
(٦) صحيح الإمام مسلم ٤/ ١٧٩٤ . انظري صحيح البخاري ٨/ ١٥١ ، ١٥١ .

فيه ميزابان من الجنة ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأبرد من الثلج. وأحلى من العسل وأطيب ريحًا من المسك وكيزانه[1] عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدًا.

وإن الإيمان بالحوض وصفته واجب على كل مسلم لثبوت ذلك عن رسول الله ـ ﷺ ـ بما لا يدع مجالاً للشك وهو على ظاهره كما يفهم من الألفاظ التي ورد بها من غير تأويل.

ثالثًا : الـمـيـــــزان :

الميزان : الآلة التي تعرف بها مقادير الأشياء.

والمراد بالميزان هنا : ميزان حقيقي له كفتان حسيتان يوضع لوزن أعمال العباد بعد انقضاء الحساب والتقرير بالأعمال وعرضها على ابن آدم.

وفيه إظهار العدل الرباني فلا تظلم نفس شيئًا فيحضر تبارك وتعالى أعمال الإنسان وإن كان مثقال حبة من خردل لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها. وقد تكون موازين الأعمال متعددة، وقد يكون الميزان واحدًا والله قادر على كل شيء. والأدلة على ثبوت الميزان ووزن الأعمال كثيرة منها :

أ ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[2].

ب ـ قول الله ـ تعالى : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[3].

جـ ـ قول اللّه ـ تعالى ـ : ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[4].

---

(١) الكيزان جمع كوز وهو إناء بعروة يشرب به الماء.
(٢) سورة الأعراف : آية (٨ ، ٩).
(٣) سورة الأنبياء : آية (٤٧).
(٤) سورة المؤمنون : الآيتان (١٠٢ ، ١٠٣).

د ـ قول اللّه ـ تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ۝١١﴾[1].

في الآيات السابقة ما يدل على إثبات الموازين، وإثبات وزن الأعمال وترتب الفلاح على ثقلها والخسارة على خفتها. ثم إن الأعمال التي توزن يوم القيامة وهي أعراض لا تقبل الوزن في الحياة الدنيا تكون في ذلك الوقت قابلة لذلك، لأن معايير تلك الحياة ليست هي كما في حياتنا الآن. وأيضًا مع قبول تلك الأعمال الوزن تتفاوت ثقلاً وخفة حتى مع كونها واحدة بحسب الإخلاص والنية المصاحبة لذلك. فاعتبارات الوزن ليست لذات العمل وإنما لما يصحبه، لأن كثيرًا من الخلق يأتون بكلمة الشهادة ومع ذلك تغلب سيئاتهم حسناتهم مع كون الشهادة تميل بالسموات والأرض لو وضعت في كفة ووضعت السموات والأرض ومن فيهن في كفة كما جاء في الحديث[2]. والله أعلم.

رابعًا : الصـــــراط :

الصراط : هو الطريق. ويلفظ بالسين.

والمراد هنا : الجسر المنصوب على ظهر جهنم طريقًا إلى الجنة. والمرور على الصراط عام لجميع الناس، ولا يمكن الوصول إلى الجنة إلاَّ بعد تجاوزه.

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾[3].

وقد بين الرسول ـ ﷺ ـ ذلك بما يدل على أنه المرور على الصراط وهو مشهد مخيف ينسي الإنسان أهله وذويه حتى ينجو.

والقدرة على العبور مرجعها استقامة الإنسان على الصراط المستقيم صراط المنعم عليهم فمن استقام على دين الله الذي ارتضى لعباده وهو الصراط المعنوي، استطاع العبور على الصراط الحسي بحسب استقامته.

---

(١) سورة القارعة : الآيات (٦ ـ ١١).
(٢) انظري مسند الإمام أحمد ٢/ ١٧٠ ، ١٨٦ ، ٢٢٥ .
(٣) سورة مريم : آية (٧١).

ومن حاد عن الصراط المستقيم في الدنيا وقت الرخاء، فلن يصمد على الطريق المزلة وقت الشدة، وقد افتقد وسيلته وهي العمل ومن الأدلة على ثبوت الصراط وصفته والعبور عليه ما يلي :

أ ـ روى البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة «رضي الله عنه» ـ في حديث طويل أن النبي ـ ﷺ ـ قال : «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها. ولا يتكلم يومئذ إلاَّ الرسل ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم، سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان[1]. هل رأيتم السعدان؟ قالوا : نعم، يا رسول الله قال : فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلاَّ الله. تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن بقى بعمله[2]، ومنهم المجازى حتى يُنَجّى... الحديث»[3].

ب ـ روى مسلم بسنده عن أبي هريرة، وعن حذيفة قالا : قال رسول الله ـ ﷺ ـ فذكر حديث الشفاعة وفيه : «فيأتون محمدًا ـ ﷺ ـ فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم. فتقومان جنبتي الصراط، يمينا وشمالاً، فيمرّ أولكم كالبرق، قال قلت : بأبي أنت وأمي ! أي شيء كمر البرق ؟» قال «ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال[4] وتجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد. حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلاَّ زحفا قال : وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار»[5].

وفي الأحاديث أدلة ثبوت الصراط، وصفته، وهول الموقف، وأن الأعمال هي وسيلة العبور وسبب النجاة لقوله تعالى : ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[6].

أي أن الله تعالى ينجيهم بعد الورود ويذر الظالمين فيها جثيا، فلا يتجاوزونها.

---

(١) السعدان : نبت له حسكة يعم الشوك محيطها.

(٢) بقي بعمله ـ أي لم يخطف ـ ورويت «الموثق بعمله» ورويت «الموبق يعني بعمله».

(٣) صحيح مسلم ١/ ١٦٣ ـ ١٦٦ انظري صحيح البخاري ٨/ ١٤٦ ـ ١٤٨ .

(٤) الشد هو العدو البالغ.

(٥) صحيح الإمام مسلم ١/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٦) سورة مريم : آية (٧٢).

ويلاحظ فيما تقدم مما ذكر من أمور اليوم الآخر أن حقائق هذه الأمور خفية لا تدركها العقول لأنه لا نظير لها في الواقع المشهود من كل وجه، فيجب عدم الخوض في حقائق هذه الأمور وكيفياتها وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى.

خامسًا : الشفاعة :

الشفع : ضم الشيء إلى مثله.

والشفاعة : الوسيلة والطلب وهذا لغة.

أما عرفًا فهي : سؤال الخير للغير، أي الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلاً عنه.

وأكثر ما يستعمل هذا المعنى في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى.

ومن الشفاعة دعاء المرء لأخيه وطلبه من الله تعالى أن يهديه إلى الصواب، أو يدفع عنه ضرًا، أو يغفر له خطاياه سواء كان ذلك في الحياة الدنيا من الحي للحي، أو من الحي للميت، أو كان ذلك يوم القيامة والشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم الله بها من يرحم من عباده، فيستحقها أهل توحيده، ويمنعها أهل الشرك كما قال ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[1].

وتختلف الشفاعة عند اللهّ سبحانه عن الشفاعة عند غيره فلابد فيها من شرطين :

الشرط الأول :

إذن الله تعالى للشافع : أن يشفع لقوله تعالى : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[2] وقوله : ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾[3]. وقوله : ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ﴾[4]. وقوله : ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ

(١) سورة النساء : آية (٤٨ ، ١١٦).
(٢) سورة البقرة : آية (٢٥٥).
(٣) سورة طه : آية (١٠٩).
(٤) سورة سبأ : آية (٢٣).

لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[1].

ويقول سيد الشفعاء في حديث الشفاعة الطويل : «فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدًا فيقال : يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع»[2].

الشرط الثاني :

الرضى عن المشفوع له : ورضى الله تعالى لا يحصل إلاَّ باتباع الأوامر واجتناب المناهي فما أمر به فهو مرضي محبوب وما نهى عنه فهو مبغض منبوذ والأدلة على هذه كثيرة منها :

قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾[3]. وقوله ـ تعالى ـ : ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾[4]. وقوله : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[5].

ومنها ما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة «رضي الله عنه» قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة. فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»[6].

وأدلة هذين الشرطين كثيرة، تبين أن الشفاعة عند الله تعالى يوم القيامة لا تكون إلاَّ لمن أذن له بالشفاعة، ولا يأذن إلا لأوليائه المرتضين الأخيار، ولا يشفعون إلاَّ لمن رضى الله عنه من أهل توحيده، كما أنها نائلة من قال لا إله إلاَّ الله ولو بعد دخول النار بإخراجه منها، كما تنتفي عن أهل الشرك، وهي ملك الله وحده كما قال : ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾[7]. فلا يجوز طلبها من أحد سواه.

---

(١) سورة النجم : آية (٢٦).
(٢) صحيح الإمام البخاري ٩/ ١٧٩ ، ١٨٠، وصحيح الإمام مسلم ١/ ١٨٠ ، ١٨١ .
(٣) سورة الأنبياء : آية (٢٨).
(٤) سورة غافر : آية (١٨).
(٥) سورة المدثر : آية (٤٨).
(٦) صحيح الإمام مسلم ١/ ١٨٩ .
(٧) سورة الزمر : آية (٤٤).

أنـوَاع الـشـــــــــفـاعَـة

عــدد الشـــفاعــة ثمانية أنـواع :

أ ـ الشفاعة العظمى، وهي خاصية بنبينا محمد ـ ﷺ ـ وهي المقام المحمود الذي وعده الله عز وجل بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[1].

وذلك حين يشتد على الناس الموقف ويلتمسون الشفاعة في أن يفصل بينهم فيأتون آدم، ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى بن مريم وكلهم يقول نفسي نفسي إلى أن ينتهوا إلى نبينا محمد ـ ﷺ ـ فيقول: «أنا لها»[2].

ب ـ الشفاعة لأهل الجنة في دخولها كما روى مسلم بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا»[3].

جـ ـ الشفاعة في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم لدخول الجنة.

د ـ الشفاعة في درجات أقوام من أهل الجنة فوق ما تقتضيه أحوالهم.

هـ ـ الشفاعة في أقوام قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

و ـ الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ومن أدلة هذا النوع قول الرسول ـ ﷺ ـ لعكاشة بن محصن لما طلب منه أن يدعو الله أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب : «اللهم اجعله منهم»[4] ويقول الله لمحمد ـ ﷺ ـ في حديث الشفاعة : «أدخل الجنة من أُمتك من لا حساب

---

(١) سورة الإسراء : آية (٧٩).

(٢) انظري صحيح البخاري ٩/ ١٧٩ ، ١٨٠، وصحيح مسلم ١/ ١٨٠ ـ ١٨٧ .

(٣) صحيح الإمام مسلم ١/ ١٨٨ .

(٤) انظري صحيح البخاري ٨/ ١٤٠ ، وصحيح مسلم ١/ ١٩٧ ، ١٩٨ .

عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة»[1] وهذا بعد الشفاعة.

ز ـ الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين ممن أدخلوا النار فيخرجون منها. كما جاء ذلك صريحًا في الأحاديث الكثيرة التي بلغت حد التواتر وهي عامة وتتكرر من الرسول ـ ﷺ ـ مرات، ويشفع أيضا الملائكة والنبيون والمؤمنون كما صرحت بذلك الأحاديث الواردة فيها[2].

حـ ـ شفاعة الرسول ـ ﷺ ـ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب لما روى البخاري ومسلم بسنديهما عن أبي سعيد الخدري «رضي الله عنه»، أن رسول اللهّ ـ ﷺ ـ ذكر عنده عمه أبو طالب. فقال : «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه»[3]. ولا تنفعه الشفاعة في الخروج من النار لكونه مات غير موحد بخلاف أهل التوحيد. والله أعلم.

(١) صحيح الإمام مسلم ٩/ ١٨٥ ، ١٨٦ .
(٢) انظري صحيح الإمام البخاري ٩/ ١٨٥ ـ ١٦١، وصحيح الإمام مسلم ١/ ١٧٩ ـ ١٨٤ .
(٣) صحيح الإمام البخاري ٨/ ١٤٤ ، وصحيح الإمام مسلم ١/ ١٩٥ .

الأســـــئـلـة

س١ : ما معنى الإيمان باليوم الآخر، واستدلي على ما تقولين ؟

س٢ : ما موقف المشركين من عقيدة البعث، مع الاستدلال على ما تقولين ؟

س٣ : اذكري طرق القرآن في الرد على منكري البعث .

س٤ : لِمَاذَا كثر الاستدلال في القرآن على إثبات البعث ؟

س٥ : ما حكم الإيمان بسؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه مع ذكر الدليل ؟

س٦ : ما أنواع عذاب القبر ؟ وما الدليل ؟

س٧ : ما معنى القيامة، وما هي أسماؤها في القرآن ؟

س٨ : هل يعلم وقت وقوعها مع الاستدلال على ما تقولين ؟

س٩ : اذكري بعض علامات الساعة الصغرى، والكبرى. وما الفرق بينهما ؟

س١٠ : ما الصور ؟ وما معنى النفخ فيه ؟ وكم مرة يكون النفخ في الصور ؟ ومن الذي ينفخ فيه ؟

س١١ : متى يكون البعث، وما الدليل ؟

س١٢ : ما معنى الحشر، وكيف يأتي الناس إلى المحشر ؟

س١٣ : ما العرض، والحساب، وما الدليل على حصوله ؟

س١٤ : هل يحاسب من أوتي كتابه باليمن مع الاستدلال على ما تقولين ؟

س١٥ : ما معنى قوله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾[1].

---

(١) سورة يس : آية (٦٥).

س١٦ : ما الحوض ؟ اذكري بعض الأدلة على ثبوته .

س١٧ : اذكري صفة الحوض. وما المانع من وروده ؟

س١٨ : هل الميزان حقيقي، وما الدليل عليه ؟

س١٩ : هل الأعمال تقبل الوزن ؟ وكيف يكون ذلك يوم القيامة ؟

س٢٠ : ما الصراط، وهل هناك أحد يدخل الجنة دون أن يمر عليه ؟ اذكري الدليل على ما تقولين.

س٢١ : اذكري بعض الأدلة على ثبوت الصراط وصفته .

س٢٢ : ما الشفاعة ؟ وما شروطها ؟ وما المانع منها ؟

س٢٣ : اذكري بعض الأدلة على ما يمنع من حصول الشفاعة .

س٢٤ : هل تطلب الشفاعة من غير الله ؟ ولِمَاذَا ؟ مع ذكر الدليل على ما تقولين ؟

س٢٥ : كم أنواع الشفاعة ؟ وما الخاص منها بمحمد ـ ﷺ ـ ؟

سادساً : الإيـــمَـــان بالـقـــضَـاء والـقـــدر

١ ـــ تعريف القـــضاء والقَـــدَر

القـضاء لـغـة : يرد لمعان تختلف باختلاف التركيب فمنها :

أ ـ **الحكم** : يقال قضى يقضي قضاء بمعنى حكم.

ب ـ **ومنها الأمر** : كما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1].

أي أمر بعبادته وحده دون سواه.

جـ ـ **ومـنـها الخـبـر** : كـمـا فـي قـولـه ـ تـعـالى ـ : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾[2] أي أخبرناه بذلك.

والمقصود هنا الأول.

فالـقـدر : هو التقدير وهو تحديد مقادير الأشياء قبل وقوعها وكتابتـها في اللوح المحفوظ قال الله ـ تعالى ـ : ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾[3]. أي حددها.

شـــــرح الـتـعـــــريف :

حكم الله تعالى الذي وضعه للعالم وجعله يسير بموجبه من السنن التي ربط بها المسببات بأسبابها منذ أراد ذلك إلى الأبد فكل ما يجري في الكون فهو على هذا التقدير السابق على ما قدر سبحانه ورتب. فما وقع فهو المقدر المقضي، وما لم يقع فهو غير مقدر ولا مقضي. ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك.

---

(١) سورة الإسراء : آية (٢٣).
(٢) سورة الحجر : آية (٦٦).
(٣) سورة فصلت : آية (١٠).

٢ ـــ الإيمَانُ بقضَاء اللّه وَقدَره

الإيمان بقضاء الله وقدره هو الركن السادس من أركان الإيمان كما في جواب الرسول ـ ﷺ ـ حين سأله جبريل «عليه السلام» عن الإيمان قال : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»(١).

ومعنى الإيمان بالقدر التصديق الجازم بأن كل ما يقع من الخير والشر فهو بقضاء الله وقدره كما قال تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾(٢).

وفي قول الله ـ تعالى ـ دلالة على أن جميع ما يجري في الآفاق وفي الأنفس من خير أو شر فهو مقدر من الله تعالى ومكتوب قبل خلق الخليقة. فما فات من المحبوب لا يوجب الحزن، وما حصل منه لا يوجب الفرح.

روى الإمام أحمد بسنده عن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم ولو كان لك جبل أحد أو مثل جبل أحد ذهبًا أنفقته في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار»(٣).

وروى الإمام مسلم «رحمه الله» بسنده عن أبي هريرة «رضي الله عنه» قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

---

(١) صحيح الإمام مسلم ١/ ٣٧ انظري صحيح البخاري ١/ ١٩ ، ٢٠ .
(٢) سورة الحديد : الآيتان (٢٢ ، ٢٣).
(٣) مسند الإمام أحمد ٥/ ١٨٥، ورواه ابن ماجه وأبو داود.

«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»[1]. وكل ما قدر الله تعالى فهو لحكمة يعلمها ولا يخلق الله تعالى شرًا محضاً لا يترتب عليه مصلحة فالشر ليس إليه من حيث هو شر محض وإنما هو داخل في عموم خلقه لكل شيء وهو بالنسبة لله عدل وحكمة ورحمة ولا يدخل في شيء من صفاته ولا أفعاله فله الكمال المطلق يدل على هذا قوله ـ تعالى ـ : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾[2].

أي أن ما يصيب الإنسان من الخير والإنعام فهو من الله ـ تعالى ـ، وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه ولا محيد لأحد عن القدر المقدور والله ـ تعالى ـ خالق العباد ولا يجري في ملكه إلاَّ ما يريد ولا يرضى لعباده الكفر. وقد وهبهم القدرة والاختيار فأفعالهم واقعة بقدرتهم وإرادتهم يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

(١) صحيح الإمام مسلم ٤/ ٢٠٥٢ .
(٢) سورة النساء : آية (٧٩).

٣ ـــ مَرَاتب الإيمَان بالقدَر

الإيمان بالقدر على أربع مراتب هي :

المرتبة الأولى :

الإيمان بعلم الله الذي هو صفته الأزلية فهو سبحانه عالم بكل شيء وهو بكل شيء محيط فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض فيعلم جميع خلقه قبل خلقهم ويعلم ما ستكون عليه أحوالهم كلها سرها وعلانيتها. والأدلة على هذا كثيرة منها :

أ ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[١].

ب ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ﴾[٢].

جـ ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾[٣].

د ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾[٤].

هـ ـ ما رواه الإمام مسلم وغيره عن ابن عباس قال : سئل رسول الله ـ ﷺ ـ عن أطفال المشركين ؟ قال : «الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم»[٥].

---

(١) سورة الطلاق : آية (١٢).

(٢) سورة الحشر : آية (٢٢)، وتكرر محلل الدليل «عالم الغيب والشهادة» في آيات كثيرة من القرآن في البقرة، والأنعام والرعد، والمؤمنون، والروم، والسجدة، والجمعة، والتغابن.

(٣) سورة سبأ : آية (٣).

(٤) سورة الأنعام : آية (٥٩).

(٥) صحيح الإمام مسلم ٤/ ٤٩ . وانظري صحيح الإمام البخاري باب القدر ٨/ ١٥٣ .

ودلالة الأدلة السابقة على علم الله وإحاطته بكل شيء شاهدًا وغائبًا ما كان وما يكون وما لا يكون لو كان كيف يكون واضحة جلية.

المرتبة الثانية :

الإيمان بأن الله تعالى كتب مقادير خلقه في اللوح المحفوظ ولم يفرط في ذلك من شيء وعلى هذا الأدلة الكثيرة منها :

أ ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[1].

ب ـ قوله ـ تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[2].

جـ ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[3].

د ـ قول الرسول ـ ﷺ ـ فيما رواه الإمام أحمد وغيره عن عبادة بن الصامت : «أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ثم قال له اكتب قال : وما أكتب قال : فكتب ما يكون وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة»[4].

هـ ـ قول الرسول ـ ﷺ ـ فيما رواه البخاري بسنده عن علي «رضي الله عنه» : «ما منكم من أحد إلاَّ

---

(١) سورة الحديد : آية (٢٢).
(٢) سورة الحج : آية (٧٠).
(٣) سورة الأنعام : آية (٣٨).
(٤) مسند الإمام أحمد ٥/ ٣١٧ وانظري كتاب الشريعة للآجري : ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

قد كتب مقعده من النار أو الجنة. فقال : رجل من القوم ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال : لا، اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥﴾[1] الآيات»[2].

والأدلة السابقة مصرحة بأن الله تبارك وتعالى كتب كل شيء قبل الخلق، ولم يفرط في الكتاب من شيء وذلك سهل يسير على من لا تخفى عليه خافية.

المرتبة الثالثة :

مرتبة الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته ولابد ومالم يشأ لم يكن لعدم المشيئة لا لعدم القدرة لأن الله تبارك وتعالى لا يعجزه شيء كما قال : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝٤٤﴾[3].

والأدلة على المشيئة الشاملة كثيرة جدًا منها :

أ ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٩﴾[4].

ب ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٩﴾[5].

جـ ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[6].

د ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾[7].

---

(١) سورة الليل : آية (٥) وما بعدها إلى آية (١٠).
(٢) صحيح الإمام البخاري ٨/ ١٥٤، وانظري صحيح الإمام مسلم ٤/ ٢٠٤٠ .
(٣) سورة فاطر : آية (٤٤).
(٤) سورة التكوير : آية (٢٩).
(٥) سورة الأنعام : آية (٣٩).
(٦) سورة المائدة : آية (٤٨) والنحل آية (٩٣).
(٧) سورة يس : آية (٨٢).

هـ ـ قول الرسول ـ ﷺ ـ فيما روى البخاري ومسلم بسنديهما عن معاوية بن أبي سفيان : «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[1].

ودلالة هذه الأدلة على عموم مشيئة الله تعالى ظاهرة فكل ما يحصل في هذا الكون فهو مراد له سبحانه وتعالى بالإرادة الكونية فهو الخالق وحده المالك المدبر فلا يجري في ملكه إلاَّ ما يريد لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا يعجزه شيء.

المرتبة الرابعة :

الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء لا خالق غيره ولا رب سواه ومما يدل على هذا ما يلي :

أ ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾[2].

ب ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾[3].

جـ ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾[4].

د ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[5].

هـ ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾[6].

و ـ قول الرسول ـ ﷺ ـ : «إن الله خالق كل صانع وصنعته»[7].

في الآيات السابقة والحديث. النص الجلي على أن الله تبارك وتعالى هو الذي قدر كل شيء وخلقه وهو

---

(١) صحيح الإمام البخاري ١/ ٢٧ . وصحيح الإمام مسلم ٣/ ١٥٢٤ .
(٢) سورة الزمر : آية (٦٢).
(٣) سورة الفرقان : آية (٢).
(٤) سورة الفاتحة : آية (١).
(٥) سورة البقرة : آية (١١٧) والأنعام (١٠١).
(٦) سورة الصافات : آية (٩٦).
(٧) المستدرك للحاكم ١/ ٣١ ، ٣٢، ومجمع الزوائد ٧/ ١٩٧ .

الذي أحاط الأشياء بعنايته ورعايته وقد قدر الكائنات وأوجدها لا على مثال سابق ووهب بعض خلقه القدرة والفعل، والله سبحانه هو الخالق للفاعل وفعله وهو الخلاق العليم.

٤ ـــ أنواع المَقادِير

المقادير أربعة هي ضمن مرتبة كتابة المقادير العامة وكلها ترجع إلى علم الله تعالى الشامل لكل شيء :

التقدير الأول :

هو التقدير العام لجميع الأشياء قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة عندما خلق الله القلم وأمره بالكتابة لما هو كائن إلى يوم القيامة وهو التقدير الأزلي. ودليل هذا التقـدير قول الله تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[1].

وقول الرسول ـ ﷺ ـ «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وعرشه على الماء»[2] وغير هذه الأدلة مثلها كثير.

التقدير الثاني :

التقدير العمري هو ما يجري على الإِنسان من بداية حياته عند تخليق النطفة إلى ما بعد ذلك وهو عام للرزق والعمل والسعادة والشقاوة والدليل على هذا قول الرسول ـ ﷺ ـ : «إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا ثم علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع، برزقه وأجله وشقي أو سعيد، فو الله إن أحدكم أو الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما

---

(١) سورة الحديد : آية (٢٢).

(٢) صحيح الإمام مسلم ٤/ ٢٠٤٤ .

يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»[1].

وهذا التقدير بحسب الخصوص مما هو في اللوح المحفوظ.

التقدير الثالث :

التقدير السنوي ويكون في ليلة القدر من كل عام كما قال ـ تعالى ـ : ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾[2]. ذكر المفسرون أنه يكتب في هذه الليلة كل ما سيكون في العام من الخير والشر والأرزاق والآجال وغير ذلك إفرادًا لحوادث السنة كلها مما سبق كتابته في اللوح المحفوظ ومما اثبت فيها يخص الإنسان في تقديره العمري والله على كل شيء حفيظ.

التقدير الرابع :

التقدير اليومي وهو لما يحصل في اليوم من الحوادث المقدرة من الخلق والرزق والإحياء والإماتة ومغفرة الذنوب وتفريج الكروب كما قال ـ تعالى ـ : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝٢٩﴾[3] أي مما هو من شأنه تعالى في خلقه. وهذا التقدير وما سبقه من التقدير السنوي والعمري هو تفصيل من القدر الأزلي.

---

(١) صحيح الإمام البخاري ٨/ ١٥٢، وصحيح الإمام مسلم ٤/ ٣٦ .

(٢) سورة الدخان : الآيتان (٤ ، ٥).

(٣) سورة الرحمن : الآية (٢٩).

٥ ـــ التحذير من الخَوض في القَدَر

الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان، كما أن القدر نظام التوحيد، والإيمان بالأسباب الموصلة إلى خير القدر وشره هي نظام الشرع، ولا يستقيم أمر الدنيا والدين بدون الإيمان بالتوحيد والشرع وقد أكد هذا الرسول ـ ﷺ ـ لمن قال له أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل بقوله : «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾[1]»[2].

وهذا القول من الرسول ـ ﷺ ـ أمر بالعمل ونهي عن الاتكال والأعمال الحاصلة من الإنسان دليل ما سبقت به المشيئة، وقدّر على الإنسان، وخالق الأسباب ومسبباتها هو الخالق لكل شيء سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل والقدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً وقد جاءت النصوص الشرعية بأمور من القدر ـ مرّ ذكر بعض منها في مراتب القدر ـ ومنها ما يدل على نفي الظلم عن الله تعالى كقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۝٧٦﴾[3]. وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٤﴾[4].

ومنهم إثبات القدرة والمشيئة للعباد وإسناد أفعالهم إليهم، وسيأتي بيان هذا في الكلام على مذهب السلف في القضاء والقدر فعلى ضوء ما ورد يدرك المخاطبون على اختلافهم شيئًا من القدر كل بحسبه مما يقودهم إلى الإيمان والتسليم بما أخفاه الله عنهم وهو من الغيب الذي يؤمن به المتقون المسلمون بعلم الله

---

(١) سورة الليل : الآيات (٥ ـ ١٠).

(٢) صحيح الإمام مسلم ٤/ ٢٠٣٩ ، ٢٠٤٠ انظري صحيح الإمام البخاري ٨/ ١٥٤ .

(٣) سورة الزخرف : آية (٧٦).

(٤) سورة يونس : آية (٤٤).

الشامل وقدرته على كل شيء وخلقه له، ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن.

والرسول الحكيم الحريص على أمته حذرها مما يؤدي بها إلى المزالق الخطرة فنهاها عن الخوض في القدر لأن ذلك مدعاة لقياسه على المحسوسات المشاهدة التي يترتب بعضها على بعض من الماديات التي أمامنا في الحياة وهذا مسلك خطر يوصل الإنسان إلى الاعتراض على المالك المتصرف ويوقع في الحيرة والضلال، ولا يصل الإنسان إلى ما يطمئن به القلب إلاَّ إذا امتثل، وترك الخوض في القدر وجعل ما يدرك من أوامر الشرع دليلاً يقود إلى التسليم والرضى بما لم يصل به إدراكه إليه وفي القرآن الكريم ما يلفت الانتباه إلى مثل هذا في شأن الروح. قال ـ تعالى ـ : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[1].

أي لم تأتوا من العلم إلاَّ شيئًا قليلاً لا يمكنكم من معرفة كنه الروح وحقيقتها إنما يمكنكم من معرفة آثارها حال وجودها في الأجساد.

(١) سورة الإسراء : آية (٨٥).

لا يختلف سلف الأمة على الحق في قضاء اللّه وقدره. فيقولون : إن اللّه خالق كل شيء وربه ومليكه لا يخرج عن ذلك شيء فما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن ولا يكون في الوجود شيء إلاَّ بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، وهو قادر على كل شيء وعالم بكل ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف يكون، فكتب كل ما هو كائن قبل كونه أفعال العباد وغيرها من الأرزاق والآجال والسعادة والشقاوة كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[1].

وقال : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[2]. وقال ـ تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾[3].

فهذه الأدلة ومثلها كثير تدل على أن كل ما يجري في الكون مقدر من الله تعالى ومكتوب عنده، وهو مقتضى ربوبيته المطلقة سبحانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهو الحكيم العليم رتب كل شيء بعلمه وحكمته فجعل من الأعمال الجارية ما لا قدرة لأحد عليه ولا نفاذ لإرادة أحد فيه كالحياة والموت والصفات الخِلْقِيَّة من الشكل طولاً وعرضًا ونحو ذلك وما يقع من المصائب والبلاء، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[4].

وما كان من الأفعال والصفات والأحداث خارج إرادة الإنسان وقدرته فليس هو محل تكليف من الله تعالى ولا ينسب إلى الإنسان منه شيء ولكن هناك أفعال مقدورة للإنسان ومستطاعة يفعلها بها وهبه

(١) سورة الأنعام : آية (١٧).
(٢) سورة التوبة : آية (٥١).
(٣) سورة القصص : آية (٦٨).
(٤) سورة الحديد : آية (٢٢).

الله تعالى من القدرة والاختبار مما تظهر فيه الحكمة الإلهية في الجزاء كما قال سبحانه : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1].

فالإنسان يجد من نفسه القدرة على تلك الأفعال وتركها فهو فعل له حقيقة كما شاء وأراد قال ـ تعالى ـ : ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[2] وقال ـ تعالى ـ ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾[4] ولاختيار الإنسان في فعله من الإيمان والاستقامة وخلافه كان السؤال والحساب والثواب والعقاب، ولا يعني ذلك خروج أفعال الإنسان هذه عن قدرة الله تعالى فهو لا يقدر إلاَّ على ما قدره الله تعالى عليه، ولا يشاء ولا يفعل إلاَّ ما شاء الله له فعله كما سبقت الأدلة على هذا، فالله هو الخالق لكل شيء. خالق الإنسان وعمله وقد ربط سبحانه الأسباب بمسبباتها فلابد من الأسباب التي تحصل بها المسببات والله خالق الأسباب ومسبباتها، فللإنسان قدرة ومشيئة ولكنها تابعة لقدرة الله تعالى ومشيئته وإضافة الفعل إلى الله تعالى حقيقة كما أن إضافته إلى المخلوق أيضا حقيقة. وأفعال الله تعالى من حيث هي فعله خير محض، وصدور الأفعال عن الله تعالى ليس فيه شر بوجه من الوجوه فهو لم يخلق شرًا محضًا من جميع الوجوه فإن حكمته تأبى ذلك إذ لا مصلحة في خلقه على هذا وهو سبحانه بيده الخير كله والشر ليس إليه فما نسب إليه فليس شرًا ونسبته إليه من حيث الخلق والمشيئة ليست بشر فهو تعالى حكيم عدل يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها وما كان من الفعل شرًا فهو من جهة إضافته إلى العبد باكتسابه له لما يلحقه من المهالك بسببه كما قال تعالى : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[5] وقال ـ ﷺ ـ : «والخير كله في يديك والشر ليس إليك»[6]. أي أن الشر الذي في الوجود لا يكون إلى الله تعالى لأنه راجع إلى الذنوب وذلك من نفس العبد فلا يرجع إلى أسماء الله تعالى وصفاته من ذلك شيء لكنه يرجع إلى مفعولاته والله أعلم.

---

(١) سورة هود : آية (٧) والملك آية (٢).
(٢) سورة الكهف : آية (٢٩).
(٣) سورة الطور : آية (٢١).
(٤) سورة التكوير : آية (٢٨).
(٥) سورة الشورى : آية (٣٠).
(٦) صحيح الإمام مسلم ١/ ٥٣٥ .

يتلخص في النقاط التالية :

أ ـ الإيمان بالربوبية المطلقة لله تعالى فهو الرب الذي خلق كل شيء وعلمه وقدّره وأراده وكتبه سبحانه وتعالى.

ب ـ أن للعبد قدرة ومشيئة واختيارًا بها تتحقق أفعاله وبمقتضاها يكون الثواب والعقاب.

جـ ـ إن قدرة العبد ومشيئته التي بها تحصل أعماله غير خارجة عن قدرة الله ومشيئته فهو الذي منح الإنسان ذلك وجعله قادرًا على التمييز والاختيار فأي الفعلين اختار لم يخرج عن كونه داخلاً تحت مشيئة الله وقدرته وخلقه.

د ـ أن الإيمان بالقدر خيره وشره بحسب إضافته إلى الخلق أما بالنسبة للخالق عز وجل فالقدر خير كله والشر لا ينسب إليه فعلم الله تعالى ومشيئته وكتابته وخلقه للأشياء كل ذلك حكمة وعدل ورحمة وخير فالشر لا يدخل في شيء من صفاته ولا أفعاله ولا يلحق ذاته نقص ولا شر فله الكمال المطلق والجلال التام فلا يضاف إليه الشر مفردًا وإن كان ضمن خلقه لكل شيء لكن الخلق من حيث هو ليس بشر.

٧ ـــ حكم الاحتجَاج بالقضَاء والقَدَر في ترك مَا أمَرَ الله به

إن من عرف معنى القضاء والقدر ومراتبه، والقول الحق فيه يسهل عليه فهم ما قد يشتبه على بعض الناس ممن قصر فهمه في هذا الأمر وإبراز ذلك ما قد يحتج به البعض عند ترك المأمورات أو اقتراف المنهيات بكون ذلك مقضيًا ومقدرًا، يرون ذلك مسليًا ومطمئنًا لنفوسهم ويدعون هذا من الإيمان بالقضاء والقدر. وما ذلك إلاَّ من الخطأ الشنيع في فهم ركن من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى. وقد سبق لنا فيما تقدم فهم ذلك جملة فلا داعي لإعادته. والمقصود هنا بيان حكم الاحتجاج بالقضاء والقدر في ترك الأمر وإتيان النهي على وجه التحديد فنقول.

أ ـ أن الله تبارك وتعالى هو الخالق لكل شيء. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فالله تعالى وحده بذاته وصفاته ليس مخلوقًا وما سواه مخلوق له فهو الخالق وحده، ومن ضمن ذلك الخير والشر، والحسن، والقبيح.

ب ـ إن حكمة اللّه تعالى في جعل بعض خلقه مكلفًا كما قال ـ تعالى ـ : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1] وقال ـ تعالى ـ : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢﴾[3].

والآيات تدل على أن الإنسان مخلوق للاختبار بحسن العمل وهذا يتطلب اقتداره على المطلوب وعدمه بعد معرفة ذلك.

---

(١) سورة هود : آية (٧).
(٢) سورة الملك : آية (٢).
(٣) سورة الإنسان : آية (٢).

والاقتدار حاصل بما وهبه الله تعالى من القوى وهي :

أ ـ العقل الذي هو مناط التكليف. فالعقل هو المكلف، ومن زال عقله زال تكليفه.

ب ـ سلامة الآلات التي يكون بها الاقتدار من جهة الصحة والوسع والتمكن. وأما المعرفة فالمراد بها علم مادة الابتلاء وقد جعل سبحانه وتعالى مصادر المعرفة متنوعة فبعضها عن طبيعة الإنسان نفسه وبعضها خارج عنه.

فدواعي الخير هي : الفطرة، والعقل، والوحي الإلهي الذي يرسل الله به رسله إلى الناس.

وداعي الشر : الشيطان باستغلاله رغبات النفوس حيث قد مكنه الله تعالى من القدرة على الوسوسة والتأثير على بني آدم وقد أمر الله بالاستعاذة منه بقوله : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾[1]

وقال ـ ﷺ ـ : «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»[2] واللّه سبحانه حكيم عدل له الحجة البالغة على خلقه أجمعين فجعل دواعي الخير أكثر من دواعي الشر وبين له الطريقين كما قال : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾[3]. وهو بعد ذلك يسلك أيهما شاء بمحض اختياره فمن سلك طريق الخير مستجيبًا لدواعيه متغلبًا على دواعي الشر استحق الثواب، ومن سلك طريق الشر وانقاد لدواعيه، وتجاهل دواعي الخير استحق العقاب، وفعله ذلك كله واقع باختياره وهو يحس ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل، وهذا مدرك تمامًا يحسه كل إنسان من نفسه وعليه الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وقد سبقت[4]. ثم إن فعل الخير وفعل الشر من العبد لا ينافي

---

(١) سورة الناس : الآيات (١ ـ ٦).

(٢) صحيح الإمام البخاري ٣/ ٦٥ ، ٤/ ١٥٠ ، ٩/ ٨٧ .

(٣) سورة البلد : آية (١٠).

(٤) عند الكلام على مذهب السلف. وكذلك ما استدل به القدرية من النصوص.

نسبتها إلى اللّه إيجادًا وخلقًا لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها.

وبعد هذا فمن يحتج بالقدر فحجته داحضة ومن يتعذر بالقدر فعذره غير مقبول، وقد ذم الله تعالى المشركين وعابهم حين احتجوا بمشيئة الله تعالى على كفرهم قال ـ تعالى ـ : ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[2].

فهؤلاء احتجوا بمشيئة الله على رضاه ومحبته فجعلوا المشيئة دليل الرضى، والله سبحانه لا يحب الشرك ولا يرضاه بل يبغضه وينهى عنه فما أمر به فهو المحبوب المرضي. وما نهى عنه فهو المبغض المذموم، وكونه مبغضاً مذمومًا لا يخرجه عن مشيئة الله الكونية المتضمنة لكل شيء. والاحتجاج بالقدر إبطال لمعنى الجزاء على الأعمال وإبطال للحكمة في خلق الجنة والنار قال ـ تعالى ـ : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾[3]. ولكن المشيئة اقتضت التكليف.

ثم إن المحتج بالقضاء والقدر لا يقبله حجة من غيره عليه في أخذ ماله أو نحو ذلك بل يطالب بحقه ويطلب تطبيق العقوبة على من اعتدى عليه. ولو كان القدر حجة لكان حجة للجميع في كل أمر وفي كل حال.

---

(١) سورة الأنعام : الآيتان (١٤٨ ، ١٤٩).
(٢) سورة النحل : آية (٣٥).
(٣) سورة يونس : آية (٩٩).

٨ ـــ حُكم الاحتجَاج بالقَدَر عند المصَائب

الاحتجاج بالقدر على المصيبة جائز، وما قدر على الإنسان من المصائب يجب الاستسلام له والرضى به وذلك من الرضى بالربوبية. يدل على هذا حديث احتجاج آدم وموسى «عليهما السلام» قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «احتج آدم وموسى فقال موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم : أنت موسى. اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟» فقال النبي ـ ﷺ ـ فحج آدم موسى. فحج آدم موسى»[1]. فآدم عليه السلام احتج بالقدر على المصيبة وهي الخروج من الجنة، وقد حاجه موسى «عليه السلام» بذلك حيث قال: «لماذا أخرجتنا من الجنة ؟» فكانت الحجة لآدم على موسى. والله سبحانه وتعالى قد كتب أن آدم وذريته يعيشون في الأرض وقد خلقهم لذلك كما أخبر ـ تعالى ـ بقوله : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

فكانت الحجة لآدم على موسى ولم تكن محاجة موسى لآدم «عليهما السلام» على المعصية وهي الأكل من الشجرة حيث لم يلم على ذلك وموسى عليه السلام أعلم من أن يلومه على ذنب تاب منه وتاب الله عليه، وآدم عليه السلام أعلم من أن يحتج بالقدر على أن المذنب لا ملام عليه. والله أعلم.

---

(١) صحيح الإمام مسلم ٤/ ٢٠٤٢، ٢٠٤٣ .

(٢) سورة البقرة : آية (٣٠).

الأســـــئـلـة

س١ : عرفي القضاء والقدر لغة واصطلاحاً.

س٢ : ما معنى الإيمان بالقدر ؟ وما الدليل وجوب الإيمان به ؟

س٣ : ما معنى كون الشر ليس إلى الله ؟

س٤ : كم مراتب الإيمان بالقدر، واذكريها مُرَتَّبة ؟

س٥ : ما معنى قول الرسول ﷺ عن أطفال المشركين : «الله أعلم بما كانوا عاملين» ؟

س٦ : هل تعارض كتابة ما هو كائن الأمر والنهي ولِمَاذَا ؟

س٧ : هل يفهم من مشيئة الله تعالى لكل شيء الجبر ولِمَاذَا ؟

س٨ : هل خلق الله تعالى لكل شيء يعني إلغاء قدرة العبد ؟ وضحي جوابِك بالأدلة.

س٩ : اذكري أنواع المقادير، وما دليل التقدير العام ؟

س١٠ : ما الدليل على التقدير العمري وما فائدته ؟

س١١ : ما الفوائد المترتبة على الإيمان بمراتب القدر والمقادير ؟

س١٢ : ما الفوائد المستفادة من قول الرسول ـ ﷺ ـ «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» مع وجوب الإيمان بالقدر ؟

س١٣ : ما فائدة النهي عن الخوض في القدر ؟

س١٤ : ما رأي السلف في القضاء والقدر مع الاستدلال ؟

س١٥ : ما معنى أن الشر ليس إلى الله، مع وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره ؟

س١٦ : لِمَاذَا لا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعصية ؟

س١٧ : ما دواعي الخير، ودواعي الشر في الإنسان ؟

س١٨ : ما معنى كون الاحتجاج بالقدر إبطالاً لمعنى الجزاء على الأعمال ؟

س١٩ : ما حكم الاحتجاج بالقدر على المصيبة ولِمَاذَا ؟

الإنسان جسم وروح فيه غرائز طبيعية هي متطلبات جسمه وله نزعات ورغبات هي متطلبات روحه، ولو تركت رغباته بلا ضابط لكان ذلك عاملاً يدعو إلى الفوضى والاضطراب ويعين على نشر الفساد في الأرض نتيجة تصارع تلك الرغبات وتزاحم الناس على تحقيقها.

وقد ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان عن سائر الحيوانات بالعقل ونوره بالفطرة وكمله بالنبوة. والإنسان مدني بطبعه فكل فرد من أفراده يجب أن يكون شعوره نحو مجتمعه بنّاء كما يأخذ يعطي، وكما يساهم الآخرون في حاجاته يجب أن يساهم هو في حاجتهم ولكّن حب الذات، واختلاف الناس في الإدراك، وفي قوى العمل تجعل كثيرًا من الناس يجانب الصواب إما كسلاً أو خطأ في التصرف أو احتيالاً ويسلك شتى الطرق لتحقيق رغباته ونزواته. فالجرائم تدبر في الخفاء وتحاك في الظلام بعيدًا عن أعين الرقباء، وعن العدالة لو افترض تطبيقها بين الناس، ولا يمكن السيطرة على هذه النواحي لأن هذه أمور قد لا تكون ظاهرة للمجتمع ولا يمكن أن يسيطر عليها وينظمها سوى قوة داخلية ورقيب ملازم. وليس ذلك إلاَّ الدين ونور الإيمان الذي يستشعر الفرد مراقبة علام الغيوب الذي يجازي كلا بعمله ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء. فجاءت التعاليم السماوية للأخذ بيد الإنسان إلى ما فيه سعادته. واهتمت به جسدًا وروحًا ورسمت له الطريق الذي يسلكه لتحقيق رغباته فحرم الإسلام القتل والرهبانية وأمر بالتمتع بالطيبات من الرزق وحرم الخبائث. وأمر بعبادته وإخلاص الدين له ونهى عن الكفر والفسوق والعصيان في مواضع كثيرة من القرآن. وقد تبرأ هادي هذه الأمة محمد ـ ﷺ ـ من النفر الذين أرادوا الزيادة في العمل على ما كان عليه الرسول ـ ﷺ ـ غير مبالين براحة أبدانهم روى أنس بن مالك «رضي الله عنه» : «أن ثلاثة رهط جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ـ ﷺ ـ يسألون عن عبادة النبي ـ ﷺ ـ فلما أُخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي ـ ﷺ ـ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر أنا اعتزل النساء فلا

أتزوج أبدًا فجاء رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : «أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالدين يمثل صرحًا شامخًا متكاملاً بداخله جميع أسباب الحياة المثمرة ووسائلها الكفيلة بحياة ملئها السعادة في الحياة الدنيا وعاقبتها في الآخرة حياة أسمى منها وأتم وأكمل قد رتبت عليها لا ترتب العوض على المعوض لأن المحدد الضئيل لا يكون ثمنًا للمستمر الكثير، ولكن فضلاً من الله ورحمة لمن كان صادق الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فامتثال كل ركن من هذه الأركان يعطي ثمارًا كثيرة للفرد أولاً وللجماعة ثانيًا مع ارتباط كل ركن منها بالآخر لأن عدم التصديق بواحد منها يعد تكذيبًا بها جميعًا، ولا ينفع الإيمان صاحبه ولا يكون مثمرًا ما لم يكن إيمانًا بجميع الأركان.

والإنسان خلق للابتلاء قال ـ تعالى ـ : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢﴾[2].

وقد كمله اللّه تعالى بما هو لازم لهذا الابتلاء فجعله عاقلاً سميعًا بصيرًا متحركًا ووضع فيه الرغبات والنزعات الجسدية والروحية وأرسل له الرسل توضح له الطريق المستقيم الذي ينبغي أن يسير عليه لينال الحياة الطيبة في الدنيا وليصل إلى النعيم المقيم في الآخرة، وتحذره من الطرق الموصلة إلى عذاب السعير قال ـ تعالى ـ مبينًا ذلك : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[3]. فالخروج عن العبادة خروج عن الصراط المستقيم والعبادة الحقة هي الحسنة التي فيها الإخلاص والاتباع، الإخلاص بالقصد، والإتباع بالتزام التعاليم السماوية لقوله ـ تعالى ـ : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[4]. والابتلاء الاختبار لمعرفة الأحسن عملاً بموافقته الأمر امتثالاً وابتعاده عن النهي هجرانًا.

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٧، باب النكاح، انظري صحيح مسلم ٢/ ١٠٢٠ .
(٢) سورة الإنسان : آية (٢).
(٣) سورة الذاريات : الآيات (٥٦ ـ ٥٨).
(٤) سورة هود : آية (٧).

وعلى هذا فالإيمان بجميع أركانه وحدة متكاملة مرتبط بعضها ببعض لا يغني بعضها عن الآخر وآثار الإيمان بكل ركن منها آثار لباقيها فهي على التحقيق غير منفصلة عن بعضها وكذلك تأثيرها على الفرد والجماعة ولكون الفرد هو اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع جاءت التعاليم السماوية منصبة على الأفراد لأن صلاحهم صلاح المجتمع، ومن الآثار ما يلي :

أ ـ أن الإيمان بالله هو حياة القلوب الباعث لها على القوة التي ترقى بها في مدارج الكمال، وهو الحافز للنفوس على التحلي بخصال الخير والتنزه على الرذائل وسفاسف الأمور كما قال ـ تعالى ـ :

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1].

ب ـ أن الإيمان مصدر الراحة والطمأنينة للأفراد لأنه يساير الفطرة ويوافق طبيعتها، وهو مصدر الهناء والسعادة للمجتمع لأنه يقوي روابطه ويوثق صلاته ويزكي عواطفه ويسمو بها نحو الفضيلة. إنها نعمة الرضا في كل حال، حال السعة والضيق، والعسر واليسر والفرح والحزن إيمانًا بقضاء الله وحكمته كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾[2].

وروى الإمام مسلم بسنده عن صهيب قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «عجبًا لأمر المؤمن. إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلاَّ للمؤمن. إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له»[3]. فالمؤمن المستشعر لهذا يكون هادىء القلب مرتاح البدن والنفس. تملأ حياته السعادة ويعلوه الرضا. والسكينة مطمئن إلى رحمة الله وعدله، لأنه ملاذه وملتجأه وقرة عينه وبرد يقينه.

جـ ـ طهر النفوس وصفائها، أي أن الإيمان يطهر النفوس من الأوهام والخرافات فتصفو لما فطرت عليه، وتسمو ويعلو شأنها بما تكون عليه من الكرامة فكل خضوع فيها واستكانة تتحدد تجاه خالقها وصاحب

(١) سورة الأنعام : آية (١٢٢). (٢) سورة البقرة : آية (٢١٦).
(٣) صحيح الإمام مسلم ٤/ ٢٢٩٥ . ولسند الإمام أحمد ٤/ ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٦/ ١٥ ، ١٦ .

الفضل عليها وعلى الخلق كلهم المتكفل بمصالحهم فمتى استشعرت النفوس وحدتها في الخلقة، وكفالتها في الرزق ذهبت عنها قيود الوهم، والخوف والرجاء من الخلق سواء من كبراء البشر أو مما يخترعه الخيال مما يظن في الظواهر الكونية من الكواكب والأشجار والأحجار ونحوها أو من القبور وأصحابها فتتعلق بالحق وتعرض عن سواه، فيتحد الناس في التعلق والهدف فتزول عنهم بواعث التنافس والخلاف.

د ـ إظهار العزة والمنعة، إن من يؤمن بأن الدنيا مزرعة الآخرة كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾[2]. ويؤمن بأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه ينتزع من قلبه أي باعث على الخوف وأي مظهر من مظاهره فلا يرضى لنفسه بالذلة والهوان ولا يصبر على الهزيمة والعدوان. ومن هنا يظهر لنا بوضوح كيف تحققت تلك الإنجازات العظيمة على يد الرسول ـ ﷺ ـ وعلى أيدي أصحابه. إن قوى الأرض كلها لا تقف أمام من خالطت بشاشة الإيمان قلبه وراقب اللّه في عمله، وكانت الدار الآخرة مطلبه، كما ندرك كيف كان الأنبياء عليهم السلام وهم أفراد يقفون أمام أقوامهم متحدين وغير مبالين بكثرة أولئك وقوتهم، وفي مواقف الخليل وهود «عليهما الصلاة والسلام» ما يجلي ذلك بوضوح ويبرز قوة الإيمان الحقيقية.

هـ ـ التحلي بمكارم الأخلاق، إن إيمان المرء بحياة بعد هذه الحياة يحصل بها الجزاء على الأعمال مما يشعر بأن لحياته غاية وهدفًا ساميًا الأمر الذي يدفعه إلى الأعمال الحسنة من فعل الخيرات والتحلي بالفضائل والابتعاد عن الشرور والتخلي عن الرذائل، وهذا من شأنه أن يوجد الفرد الفاضل والمجتمع الكريم والدولة الناهضة.

و ـ الجد والاجتهاد في العمل، إن من يؤمن بقضاء الله وقدره يعلم ارتباط الأسباب بمسبباتها،

(١) سورة البقرة : آية (١١٠). (٢) سورة الزلزلة : الآيتان (٧ ، ٨).

ويعرف قيمة العمل ومنزلته وفضله ويدرك أن من توفيق الله للإنسان هدايته للأخذ بالأسباب الموصلة إلى المطلوب، ولا يجد القنوط واليأس طريقًا إلى نفسه نتيجة ما فاته من أمر كما لا يدب الغرور والفخر إلى نفسه إذا نال شيئًا من حطام الدنيا إيمانًا بقوله ـ تعالى ـ : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[1].

والله أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الأسئلة

س١ : ما رغبات جسم الإنسان، ورغبات روحه ؟

س٢ : بِمَ يتميز الإنسان عن سائر الحيوانات ؟

س٣ : ما بواعَث الإفساد عند البشر ؟

س٤ : ما الطريق الصحيح في تحقيق رغبات الجسم والروح ؟ اذكري الدليل على ما تقولين .

س٥ : هل يكون مؤمنًا من آمن ببعض أركان الإيمان دون بعضها ؟

س٦ : ما الهدف من خلق الإنسان، وما الطريق المرسوم له ؟

س٧ : لِمَاذَا اهتم الإسلام ببناء الفرد ؟

س٨ : كيف يعتبر الإيمان حياة للقلوب ؟

س٩ : لِمَاذَا يبعث الإيمان على الراحة والطمأنينة ؟

س١٠ : ما أسباب تعلق الناس بالخرافات ونشوء الوثنيات بينهم ؟

س١١ : ماذا يترتب على الإيمان بالقضاء والقدر والجزاء على الأعمال تجاه الفرد والجماعة ؟

س١٢ : ما الدافع على مكارم الأخلاق من أركان الإيمان ؟

س١٣ : لِمَاذَا لا يكون الإيمان بالقضاء والقدر عامل خمول بين الناس ؟

---

(١) سورة الحديد : الآيتان (٢٢ ، ٢٣).

أهم المصادر وَالمَرَاجع

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة تأليف : محمد صديق حسن.
٣ ـ الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية : تأليف : الشيخ عبدالعزيز المحمد السلمان.
٤ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن. تأليف : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي.
٥ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية.
٦ ـ الإيمان أركانه، حقيقته، نواقضه. تأليف : الدكتور محمد نعيم ياسين.
٧ ـ الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته. تأليف : الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام. تحقيق : ناصر الدين الألباني.
٨ ـ الإيمان تأليف : الحافظ أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي. تحقيق : ناصر الدين الألباني.
٩ ـ الإيمان. تأليف : شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.
١٠ ـ كتاب الإيمان. تأليف : عبدالمجيد الزنداني، وجماعة.
١١ ـ كتاب الإيمان. تأليف : الحافظ محمد بن إسحق بن منده. تحقيق : الدكتور علي ناصر فيقهي.
١٢ ـ التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. تأليف : أبو المظفر الاسفرائيني. تحقيق : كمال يوسف الحوت.
١٣ ـ التحفة السنية في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية. تأليف : الدكتور مروان القيسي.
١٤ ـ تحفة المريد ـ شرح جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم البيجوري.
١٥ ـ التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية. تصحيح وتعليق : الشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود.
١٦ ـ تفسير القرآن العظيم. للحافظ ابن كثير.
١٧ ـ التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي.
١٨ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. تأليف : الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.
١٩ ـ جامع البيان في تفسير القرآن. لمحمد بن جرير الطبري.
٢٠ ـ الجامع لشعب الإيمان. للإمام الحافظ أبي بكر البيهقي.
٢١ ـ حد الإسلام وحقيقة الإيمان. للشيخ عبدالمجيد الشاذلي.
٢٢ ـ الرسل والرسالات. لعمر سليمان الأشقر.
٢٣ ـ شرح العقيدة الطحاوية. لابن أبي العز الحنفي.
٢٤ ـ شرح العقيدة الواسطية. لمحمد خليل هراس.
٢٥ ـ شرح العقيدة النونية. لابن القيم. تأليف : الدكتور محمد خليل هراس.
٢٦ ـ شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة. تأليف : الشيخ محمد الصالح العثيمين.

٢٧ ـ شرح النووي على صحيح الإمام مسلم.
٢٨ ـ الشريعة. للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري. تحقيق : محمد حامد الفقي. دار الكتب العلمية ببيروت. الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).
٢٩ ـ صحيح الإمام البخاري. طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.
٣٠ ـ صحيح الإمام مسلم. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان. تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي.
٣١ ـ عالم الملائكة الأبرار. لعمر سليمان الأشقر.
٣٢ ـ العقائد الإسلامية. لسيد سابق.
٣٣ ـ العقيدة الإسلامية وأسسها. تأليف : الأستاذ عبدالرحمن الميداني.
٣٤ ـ العقيدة الإسلامية سفينة النجاة. تأليف : الدكتور محمد كمال عيسى.
٣٥ ـ عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين. للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي.
٣٦ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري. لابن حجر العسقلاني.
٣٧ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد. للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب.
٣٨ ـ الفرق بين الفرق. تأليف : عبدالقاهر بن طاهر.
٣٩ ـ القاموس المحيط. تأليف : مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.
٤٠ ـ لسان العرب. لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري.
٤١ ـ لوامع الأنوار البهية في سواطع الأسرار الأثرية ـ لشرح الدرة المضية، في عقيدة الفرقة المرضية. للإمام محمد ابن أحمد السفاريني.
٤٢ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع : عبدالرحمن بن قاسم.
٤٣ ـ مختار الصحاح. تأليف : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي.
٤٤ ـ المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم. محمد أمين دمج ـ بيروت ـ لبنان.
٤٥ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).
٤٦ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. للإمام أحمد بن محمد المقري.
٤٧ ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد. للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي.
٤٨ ـ المعتمد في أصول الدين. للقاضي أبي يعلي الحنبلي.
٤٩ ـ المفردات في غريب القرآن : لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني.
٥٠ ـ الملل والنحل. لأبي الفتح محمد عبدالكريم بن أبي بكر الشهرستاني.
٥١ ـ كتاب المنهاج في شعب الإيمان. لأبي عبدالله الحسين بن الحسين الحليمي.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفصل الدراسي الأول	
الفصل الأول : مباحث في الإيمان	
معنى الإيمان	٦
المعنى اللغوي	٦
المعنى الإصطلاحي	٦
شرح التعريف	٦
أدلة السلف	٦
وجه الاستدلال من الأدلة	٧
أسئلة	٨
حقيقة الإيمان	٩
الإسلام والإيمان	١٠
مسمى الإسلام مفردًا	١٠
مسمى الإيمان مفردًا	١١
حالة اجتماع الإسلام والإيمان	١١
أسئلة	١٢
أركان الإيمان وشعبه	١٣
تعريف الأركان والشعب	١٣
عدد الأركان	١٣
عدد الشُعب	١٣
أسئلة	١٤
نواقض الإيمان	١٥
أسئلة	١٨

الموضوع	الصفحة
حكم مرتكب الكبيرة	١٩
تقسيم الذنوب	١٩
مذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة	٢٠
أدلة أهل السنة	٢٠
أسئلة	٢١
أثر المعصية على الإيمان	٢٢
الإيمان بالغيب وأثره في العقيدة	٢٣
١ ـ الإيمان بالغيب	٢٣
٢ ـ أثر الإيمان بالغيب	٢٣
أسئلة	٢٦
الفصل الثاني : أركان الإيمان	
أولاً : الإيمان بالله تعالى	
المراد بالإيمان بالله تعالى	٢٧
أسئلة	٢٧
ثانياً : الإيمان بالملائكة	
١ ـ تعريف الملائكة	٢٨
٢ ـ اعتقاد الناس في الملائكة قبل الإسلام	٢٨
٣ ـ الإيمان بالملائكة قبل الإسلام	٢٩
أدلة وجوب الإيمان بالملائكة	٢٩
أنواع الملائكة	٣٠
علاقتهم بالبشر	٣٢
أسئلة	٣٣

الموضوع	الصفحة
ثالثاً : الإيمان بالكتب	
١ ـ التعريف بالكتب	٣٤
٢ ـ الإيمان بالكتب جملة وتفصيلاً	٣٤
أ ـ أدلة الإيمان بالكتب جملة	٣٤
ب ـ وجوب الإيمان بالكتب تفصيلاً	٣٦
٣ ـ الكتب الموجودة لدى أهل الكتاب	٣٧
٤ ـ القرآن الكريم	٣٩
أ ـ تعريفه	٣٩
ب ـ القرآن كلام الله تعالى	٤٠
جـ ـ حفظ الله تعالى للقرآن	٤١
د ـ التحدي بالقرآن	٤٢
أسئلة	٤٤
رابعاً : الإيمان بالرسل	
١ ـ تعريف النبي والرسول	٤٥
الفرق بين النبي والرسول	٤٥
٢ ـ النبوة منحة إلهية	٤٦
٣ ـ صفات الرسل ومعجزاتهم	٤٧
أ ـ صفات الرسل عليهم السلام	٤٧
ب ـ معجزات الرسل عليهم السلام	٤٩
٤ ـ الإيمان بالرسل جميعا	٥٠
٥ ـ الإيمان بمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً	٥٣
أسئلة	٥٤

الموضوع	الصفحة
الفصل الدراسي الثاني	
خامساً : الإيمان باليوم الآخر	
١ ـ الإيمان باليوم الآخر والمراد به	٥٦
٢ ـ منهج القرآن الكريم في إثبات البعث	٥٨
الطريق الأول خلق السموات	٥٨
الطريق الثاني خلق الإنسان	٥٩
الطريق الثالث إحياء الأرض	٦٠
الطريق الرابع إحياء بعض الموتى	٦١
٣ ـ ما بعد الموت سؤال الملكين	٦٣
٤ ـ القيامة وعلاماتها	٦٥
٥ ـ البعث والحشر	٦٩
أ ـ العرض والحساب	٧٠
ب ـ الحوض	٧٣
جـ ـ الميزان	٧٤
د ـ الصراط	٧٥
هـ ـ الشفاعة	٧٧
شروط الشفاعة	٧٧
أنواع الشفاعة	٧٩
أسئلة	٨١

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
سادساً : الإيمان بالقضاء والقدر		**الفصل الثالث : أثر الإيمان في حياة الفرد والجماعة**	
١ ـ تعريف القضاء والقدر	٨٣	ذكر بعض الآثار	١٠٢
٢ ـ الإيمان بقضاء الله وقدره	٨٤	أسئلة	١٠٦
٣ ـ مراتب الإيمان بالقدر	٨٦	أهم المصادر والمراجع	١٠٧
المرتبة الأولى	٨٦	الفهرس	١٠٩
المرتبة الثانية	٨٧		
المرتبة الثالثة	٨٨		
المرتبة الرابعة	٨٩		
٤ ـ أنواع المقادير	٩٠		
التقدير الأول	٩٠		
التقدير الثاني	٩٠		
التقدير الثالث	٩١		
التقدير الرابع	٩١		
٥ ـ التحذير من الخوض في القدر	٩٢		
٦ ـ مذهب السلف في القضاء والقدر	٩٤		
خلاصة مذهب السلف	٩٦		
٧ ـ حكم الاحتجاج بالقضاء والقدر في ترك الأمر	٩٧		
٨ ـ حكم الاحتجاج بالقدر عند المصائب	١٠٠		
أسئلة	١٠١		

شركة المطابع الأهلية للأوفست المحدودة
National Offset Printing Press Ltd. Co.
الرياض - المملكة العربية السعودية